أثر السنن الالهية في البعد العقدي
سنّة الغضب الإلهي في القرآن الكريم

م.د. جاسم حسن طعمة القره غولي
كلية الطوسي الجامعة

م.م. حذيفة عبد الكريم صالح
كلية الطوسي الجامعة

أثر السنن الالهية في البعد العقدي
سنّة الغضب الإلهي في القرآن الكريم

م.د. جاسم حسن طعمة القره غولي
كلية الطوسي الجامعة

م.م. حذيفة عبد الكريم صالح
كلية الطوسي الجامعة

ملخص:

اقتضت حكمة الله تعالى وإرادته أن يجعل لكل شيء سبباً، وأنه لا يجري في هذا الكون شيء إلا وفق علم الله تعالى وإرادته وسننه، تلك السنن التي لا تتحول ولا تتبدل، فهو سبحانه المتصرف بشؤون هذا الكون والمنظم لمجرياته وأحداثه. من هنا تظهر أهمية البحث في السنن الإلهية، ومعرفة شروطها وخصائصها، وانتظامها وتناسقها، في أن تكون هذه المعرفة لتلك السنن مناراً لنا وهادياً لتسخير الكون بكل ما فيه من أجل فهم أشمل وأكمل للحياة، وبالتالي لامتلاك الأدوات المساعدة على استشراف المستقبل من خلال تلك السنن والتي كما ذكرنا تتميز بالثبات والديمومة، إلا بما يقدره الله من أجل الابتلاء والامتحان للإنسان في هذه الأرض.

قال سبحانه وتعالى: (**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**)[1]، والقرآن الكريم حين يلفت أنظار المسلمين إلى سنن الله تعالى في الأرض فهو بذلك يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها، فهم ليسوا بدعاً في الحياة، والنواميس التي تحكم الكون جارية لا تتخلف، والأمر لا يمضي جزافاً والحياة لا تجري في

الأرض عبثاً، وإنما تتبع هذه النواميس -أي السنن- فإذا درس المسلمون هذه السنن وأدركوا مغازيها تكشفت لهم الحكمة من وراء الجدران وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في الطريق ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بالأسباب المؤدية إليه، والسنن التي تحكم الحياة واحدة فما وقع منها فيما مضى من زمان فسيقع في غيره من كل زمان.

ومنها سنّة الغضب الإلهي وهي من السنن الكونية التي تجري على الإنسان بضوابط وقوانين لها ارتباط مباشر بسلوك الإنسان الصادر عنه وفق ارادة واختيار تامّين، كما انّ لهذه السنّة الإلهية خصوصية عدم التوقف في دار الدنيا بل لها علاقة وثيقة في الآخرة ، من خلال صور مختلفة تتجلى وتظهر (كالهلاك ، والأخذ ، والحيق) وغيرها من المظاهر التي تكون دليلا واضحا على جريان هذه السنّة ، وانّ هذه الصوّر والتجليات تختلف باختلاف الزمان والمكان ، فهي ذات صور وتجليات متنوعة تتلائم مع المرحلة التي تجري فيها ولهذا كان البحث لبيان هذه السنن .

Abstract

The wisdom and will of God Almighty required that he make everything a cause, and that nothing will happen in this universe except in accordance with God Almighty's knowledge, his will and his Sunnah, those Sunnahs that do not transform or change, for He is glory to Him who is responsible for the affairs of this universe .and organizing its events and events

Hence the importance of research in the divine laws, and the knowledge of their conditions and characteristics, their regularity and harmony, in that this knowledge of those Sunnahs is a beacon

for us and a guide to harnessing the universe with everything in it for a more comprehensive and complete understanding of life, and therefore to possess the tools to help explore the future through those years which As we mentioned, it is characterized by persistence and permanence, except for what God appreciates for the sake of trial and testing for man on this earth.

The Almighty said: (There are years before you that are free from you, so they will walk on the earth, so see how the consequence of the liars was) [Al-Imran: 137], and the Holy Qur'an comes to the attention of God, so that he will look at the age of God, so that he will look at the age of God, so that he will look at the age of God. In life, the laws that govern the universe are a running slave that does not lag behind, and the matter does not proceed haphazardly and life does not run on the ground in vain. They were reassured about the stability of the system followed by events and the existence of the wisdom behind this system, and they looked forward to the path in light of what was on the way and did not depend on the mere fact that they were Muslims to obtain victory and empowerment without taking into account the reasons leading to it, and the Sunnah that governs life is one and what happened in the past from A time will fall in other times.

Including the Sunnah of Divine Anger, which is one of the universal Sunnahs that takes place on a person with controls and laws that have a direct link to the behavior of man issued by him according to complete will and choice, just as this divine year has the peculiarity of not stopping in the worldly home, but it has a close relationship in the hereafter, through different images that appear and appear (Such as loss, taking, and attrition) and other manifestations that are clear evidence of the flow of this year, and that these images and manifestations differ according to time and place, as they have various images and manifestations that are appropriate to the stage in which this is taking place and this was the research to indicate these years.

توطئة:

السنن هي أحكام الله الثابتة في الكون وعلى الإنسان في كل زمان ومكان، وهذه السنن التي تجري عليها فلك الحياة وتسير عليها حركتها، فليس هناك شيء في حياة البشر يحدث اعتباطاً وإنما يجري كل شيء في هذه الحياة حسب سنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتغير ولا تتخلف ولا تحابي أحداً من الخلق ولا تستجيب لأهواء البشر، والمسلمون أولى أن يدركوا سنن ربهم المبرزة لهم في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يصلوا إلى ما يرجون من عزة وتمكين، فإن التمكين لا يأتي عفواً ولا ينزل اعتباطاً ولا يخبط خبط عشواء، بل إن له قوانينه التي سجلها الله تعالى في كتابه الكريم ليعرفها عباده المؤمنون ويتعاملوا معها على بصيرة، فالوقوف على هذه السنن ودراستها في غاية الأهمية بالنسبة لأمة الإسلام؛ وذلك حتى يستفيدوا منها ولا يصطدموا بها. أننا في هذا البحث سنحاول الإجابة ولو بشكل أجمالي على مجموع هذه الأسئلة من خلال طرح الأبحاث بشكل مبسط ومختصر بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة التي سوف نتابعها في كتب التفاسير المختلفة وبعض الكتب الاختصاصية الأخرى.

وقد جاء البحث بأربع مباحث وهي:

المبحث الأول : التعريف بالسنن والغضب الالهي لغة واصطلاحا

المبحث الثاني : دور ومرحلة سنّة الغضب الإلهي في مراحل السنن

المبحث الثالث : سبل الاحتراز من سنّة الغضب الإلهي

المبحث الرابع: نماذج تطبيقية لسنّة الغضب الإلهي في القرآن لكريم

المبحث الاول

التعريف بالسنن والغضب الالهي لغة واصطلاحا

السنن الإلهية:

المعنى اللغوي لـ(السُّنَن):

(السُّنَن) جمع (سُنَّة)، مشتقة من الجذر (س ن ن)، وتدور معاني هذا الجذر حول مفردات: الاستمرارية والتتابع، والانتظام، والتحديد، والوضوح:

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): "السين والنون أصلٌ واحد مطرد، وهو جريَان الشيء وإطرادُهُ في سهولة، والأصل قولهم: سَنَنْتُ الماءَ على وجهي أَسُنُّهُ سَنًّا، إذا أرسلتَه إرسالًا.

ومما اشتقَّ منه: السُّنَّة، وهي السّيرة. وسُنَّة رسول الله (ص): سِيرته... وإنّما سمِّيَت بذلك لأنها تجري جريًا "[٢].

وذكر الصاحب ابن عباد (ت: ٣٨٥هـ) في محيطه: "السَّنُّ: تَحْدِيْدُ كُل شَيْءٍ"[٣]، ثم يقول: "والسّنَنُ: المَذْهَبُ والطَّرِيْقُ. وكذلك السَنَنُ: القَصدُ الذي تُرِيْدُه. والسَنَنُ: أولُ القَوْم. وسَنَنُ الغارَةِ: أوَائلُهَا. واسْتَنَتِ الطرُقُ: وَضَحَتْ وبانَ سَنَنُها"[٤].

وفي المعجم الوسيط: "(السنَنُ): الطريقة والمثال، يقال: بَنُوا بُيوتَهم على سَنَنٍ واحد، ومن الطريق: نَهْجُه وجِهَتُه، ويقال: تَنَحَّ عن سَنَنِ الخيل"[٥].

ولعل الأنسب في مثال (بَنُوا بُيوتَهم على سَنَنٍ واحد): على نَسَق واحد؛ فإن (الطريقة) تحمل في طيها معنى الكيفية، وهو ما لا يظهر في مقصود المثل المساق، بينما (النَّسَق) يفيد معنى المشابهة في نظام الهيئة.

و(السُّنَّة): "الطريقةُ والسِّيرة، حميدة كانت أو ذميمة"[٦]. وبمثل هذا أبانها ابن منظور[٧].

وعلى ضوء ما سبق، فإن السنة ليست كل طريقة، بل: الطريقة المحددة، الواضحة، المتتابعة، أو المتَّبَعة من آخرين بعد الفاعل الأول، أو: جيلًا بعد جيل، أو أمة بعد أمة.

فالسُّنَن- لغة- هي: الطرق أو الطرائق المحددة الواضحة ذات النسق الواحد أو المتشابه، المتتابعة، أو المُتَّبَعة.

التعريف الاصطلاحي لـ(السنن الإلهية):

اختلف تعريف (السُّنَّة) اصطلاحيًا بحسب العلم الذي تناوله، فللسنة في كل من علوم: الحديث، والفقه، وأصول الفقه، تعريف يناسب استعمال كل علم ومقصده.

فقد عرفها بعض الباحثين بانها : "سنة الله: نظامه يجريه في خلقه كما يريد"[٨].

او انها : "الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"[٩]. ، وعلى ذلك فإنه يمكن الخروج من هذه التعريفات، وبالنظر إلى المعنى اللغوي، بتعريف عام للسنن الإلهية، بأنها: "قوانين الله تعالى ونظمه المطردة في خلقه، التي تخضع لها حركتهم الإرادية وغير الإرادية، ويعاملون وفق ميزانها في الدنيا والآخرة".

واما المراد من الغضب الإلهي اصطلاحاً، فالغضب الإلهي هو بمعنى إرادة الانتقام[١٠].وقد جاء في تفسير الميزان معنى الغضب الإلهي حيث قال : الغضب من صفاته تعالى الفعلية، مصداقه إرادته تعالى إصابة المكروه للعبد بتهيئة الأسباب لذلك عن معصية عصاها[١١].فالغضب

الإلهي هو إرادته تعالى بإيصال المكروه للعبد العاصي جزاء على معصيته، ولكن الفرق بين غضب الله عز وجل والغضب البشري عموماً إن الإنسان إذا غضب وأراد أن يوصل المكروه لمن غضب عليه فهذا يكون بدافع التشفي والانتقام للنفس والحصول على لذة التشفي من خلال رؤية المقابل وهو في حالة الذل والانكسار والهلاك. فالغضب بالنسبة للإنسان هو حالة نفسية تستدعي صدور فعل الشر وإيصال المكروه من الإنسان الغاضب إلى المغضوب عليه لأسباب ودوافع مختلفة قد تكون صحيحة وقد تكون باطلة. وأمّا الغضب الإلهي فهو أجلّ وأرفع من أن يريد أن يتشفى بالعبد فهو القادر على كل شيء فلا يكون غضبه عز وجل من هذا القبيل ، بل أن غضب الله وكما مرّ معنا في التعريف هو إرادة إيصال المكروه إلى الإنسان لمصلحة وحكمة يقتضيها نفس المغضوب عليه أو لدفع الفساد عن هذا النظام الكوني المتماسك المترابط الأجزاء فيما بينه كما عبر عنه تعالى في بعض الآيات القرآنية بقوله **(ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِي النّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)**[١٢].

فالغضب الإلهي هو سنّة إلهية تجري على الإنسان وفق ضوابط وقوانين مرتبطة بشكل مباشر بأفعال الإنسان الصادرة منه على نحو الاختيار والإرادة ، وعندما سوف نتقدم في عناوين هذا المبحث سوف يتضح لنا مدار هذه القوانين في جريان هذه السنّة الآلهية لذلك سوغ أقوم بتقسيم البحث إل مجموعة من الأبحاث المتسلسلة للوصول الى الغاية والهدف المرجو من هذا البحث وكما سوف يلي .

العلاقة بين سنّة الغضب الإلهي في الدنيا وفي الآخرة

اولا : سنّة الغضب الإلهي في الدنيا

ربما يتصور البعض انّه لا يوجد هناك علاقة بين سنّة الغضب الإلهي في هذه الدنيا وبين ما سوف يترتب عليها من أثر في الدار الآخرة .

و لعل هناك من يتصور العكس أي إن العقاب الإلهي سوف يتجلى في الآخرة فقط وليس له محلّ في هذه الدنيا أو على ألأقل في هذه الدنيا المعاصرة، بل ذهب مع تلك العصور المتقدمة والأزمان الغابرة في الأمم السالفة بعد أن دمرها وأفناها من الوجود فيا ترى ما هو نظر القرآن الكريم في خصوص ذلك ؟

أن المتمعن في آيات القرآن الكريم بدقة يتبين له مدى ضعف هذا القول وهذا التصور المنبثق من موقف جزئي ونظرة جانبية لبعض آيات القرآن الكريم ، إن الإيمان بالأخرة يجعل الحياة غاية سامية في فعل الخيرات ومحبة الآخرين وتقوية الوازع النفسي المرغّب للسلم والعيش والمشترك بروح الإخاء الإنساني، وتتجلى هذه العقيدة من خلال ارتباطها بالعمل الصالح والحث على معاملة الناس وفق ما رسمته لنا شريعتنا من مصاديق الأخلاق الفاضلة وحب الخير للجميع، فالتكذيب باليوم الآخر وإنكار الحساب يحيط كلّ الأعمال التي ينشدها الإنسان في دنياه، قال تعالى: **(وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**[١٣].

ومن هنا يظهر أن الإيمان بالآخرة والإذعان بالحساب والجزاء هو الأصل الوحيد الذّي يضمن حفظ الإنسان عن اقتراف الأعمال السيئة، ويجبره من لحوق أيّ ذم وخزي، وهو المنشأ الذّي يقوّم أعمال الإنسان تقويماً يحمله على ملازمة طريق السعادة، ولا يؤثّر أثره في شيء من المعارف

الأصلية حتى التوحيد الذّي ينتهي إليه كلّ أصل[١٤].

ذلك ان الاعمال للانسان تكون محفوظة في كتاب مسجل فيه كل عمل في هذه الدار ، قال تعالى ((**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَـذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**))[١٥] ، جاء في تفسير هذه الاية قوله تعالى ((**وَوُضِعَ الْكِتَابُ**)) أي كتاب الأعمال، الذي فيه الجليل والحقير ، والفتيل[١٦] والقطمير والصغير والكبير ((**فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ**)) أي من أعمالهم السيئة ، وأفعالهم القبيحة ، ((**وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا**)) أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا ، ((**مَالِ هَـذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**)) أي لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغر ، إلا أحصاها أي ضبطها وحفظها ، وقوله ((**وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا**)) أي من خير وشر[١٧] ، وقال تعالى ((**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَا بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَاللهُ رَءُوفُ بِالعِبَادِ**))[١٨] جاء في تفسيرها ، يعني يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر[١٩] . وقوله تعالى : ((**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَهُ اللهُ وَنَسُوهُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**))[٢٠] والأدلة على الأعمال وحفظها وأنه مما لاشك فيه ان كل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، تجازى بما عملت يوم القيامة كثيرة جداً ، والثواب لابد له من عمل الخير والطاعة ، واجتناب الشر والمعصية ، والغضب والعقاب الالهي كل أعمال الشر والمعصية ، فلا ثواب بدون عمل صالح ، وايمان صادق ، ولا غضب او عقاب بدون عمل طالح وفساد وكفر بالله تعالى ، فأساس رضوان الله تعالى

العمل الصالح، وأساس غضب الله تعالى ولعنته عمل السوء والمنكر، قال تعالى: ((فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ❖ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ))[٢١] ، ((فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره)) كان ابن عباس يقول : من يعمل من الكفار مثقال ذرة خيراً يره في الدنيا ، ولا يثاب عليه في الاخرة ، ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الاخرة ، مع عقاب الشرك ، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ، ولا يعاقب عليه في الاخرة إذا مات ، ويتجاوز عنه ، وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ، ويضاعف له في الاخرة .

قال تعالى: ((**قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ**))[٢٢].

قال الطبري : وهذا أيضاً قول الفوج المقتحم على الطاغين ، وهم كانوا اتباع، الطاغين في الدنيا ، يقول جل ثناؤه : وقال الاتباع : ((**رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـذَا**)) يعنون: من قدم لهم في الدنيا بدعائهم إلى العمل الذي يوجب لهم النار التي وردوها ، وسكنى المنزل الذي سكنوه منها ، ويعنون بقولهم ((هذا)) : العذاب الذي وردناه ((**فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ**)) يقولون : فاضعف له العذاب في النار على العذاب الذي هو فيه فيها، وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبوعين.[٢٣]

وعلى ذلك ليس ثمة انفصال أو تجزئة ما بين الجزاء في الدنيا والثواب او العقاب هناك، فالمؤمنون يجدون السعادة هنا في دار الدنيا أولاً، بركات تتنزل عليهم من السماء وأمناً ويقيناً يستشعرونه في أعماق أنفسهم كما أنبأنا عن ذلك القرآن الكريم: (**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ❖ نَحْنُ أَوْلِياؤُكُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيها ما تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيها ما تَدَّعُونَ**)[٢٤].

عن تفسير الكشاف قوله: في خصوص هذه الآية، عن سفيان بن عبدا لله الثقفي قال: قلت يا رسول الله (ص) أخبرني بأمر أعتصم به قال: **(قل ربي الله ثم استقم)** قال فقلت ما أخوف ما تخاف عليّ، فأخذ رسول الله بلسان نفسه فقال هذا.

فالقرآن الكريم يبين لنا في أكثر من مكان صوراً عن هذا الارتباط الواقعي بين المصيرين في الدنيا والآخرة حيث ان الأيمان بالله والامتثال لأوامره على ضوء التعاليم التي حملها الأنبياء صلوات الله عليهم على مرّ العصور هو السبيل الوحيد الّذي يضمن للانسان السعادة في كلا الدارين، وأما الكفر والإلحاد بالله عز وجل وعدم الامتثال لأوامره فهذا يؤدي إلى الخزي والتعاسة في كلا الدارين ولعلّ ما حلّ بفرعون وقومه خير شاهد ودليل على هذه الحقيقة الناصعة كما أنبأنا الله عنهم في قوله تعالى: **(يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ❖ وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ)** [٢٥].ونفس الأمر كان مع قوم هود إذ قال تعلى بحقهم:

(وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ) [٢٦].حيث جاء في تفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم في خصوص هذه الآية الشريفة، (**وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً**) أي ألحقوها ويوم القيامة أي أتبعوا يوم القيامة مثل ذلك[٢٧].فأن المصير في دار الدنيا يتبلور عن إرادة الأفراد واختيارهم ولكنه سرعان ما ينسحب على المجتمع ليعطيه صفات وملامح لان المجتمع يمثل البحر الذي تصب فيه جميع الروافد التي تحمل إرادة واختيار الأفراد والجماعات على حدٍ سواء، ومن هنا فأن العذاب في الدنيا قد يصيب أفراداً مخصوصين بالذات وقد يصيب الأمة بأكملها فيمزقها شر ممزق، والحال بالنسبة للسعادة أيضاً هو هكذا فقد تمنح

السعادة للمؤمنين خصوصاً وقد تنزل على الجماعة المؤمنة بأكملها فتوحدها وتجعلها جسداً واحداً حيّاً إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى، وأما في يوم القيامة فيتقدم الإنسان وحيداً ليحاسب أمام الله، يحمل كتابه الّذي خطّ فيه اختياره وسطر فيه أعماله بين صفحاته فيكون الجزاء حينئذٍ وفق هذا الاختيار المجسد على صفحات هذا الكتاب، انظر قوله تعالى: **(لَقَدْ أَحْصاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ❖ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ فَرْداً)** [٢٨] . وكذلك قوله تعالى في سورة الأنعام: **(وَلَقَدْ جِئْتُمُونا فُرادى كَما خَلَقْناكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ)** [٢٩].إذن فالآيات ألقرآنية السالفة الذكر صريحة في أثبات هذه العلاقة بين المصير الدنيوي والمصير الأخروي. إلى هنا أصبح من الواضح لنا إن هناك ارتباط وثيق بين المصيرين في الدنيا وفي الآخرة وان ما سيحصل للإنسان هنا سوف يتكرر له في تلك الدار الآخرة وفقاً لما تقدم معنا من الآيات القرآنية الواضحة الدلالة في هذا الخصوص ولهذا نكتفي بما تقدم وننتقل إلى المبحث الأخر من مباحث هذا البحث.

المبحث الثاني

دور ومرحلة سنّة الغضب الإلهي في مراحل السنن

في هذا المبحث سنتحدث عن دور ومرحلة سنّة الغضب الإلهي بالنسبة للسنن الآلهية الأخرى ، وبمعنى آخر هل لسنّة الغضب الإلهي مرحلة خاصة وموقع مرحلي أم أن هذه السنّة خارجة عن حدود هذا التصنيف ؟ أي أنها تحدث هكذا على نحو الصدفة ومن غير أن يكون لها مقدمات أو سنن سبقتها لتكون هي المرحلة الخاتمة والنهائية في مسيرة الأمم في دار الدنيا ؟ أو إن الحال على خلاف ذلك فهي لا تجري إلا بعد أن تكون الأمم قد مرّت بمجموعة من المقدمات التي تهيئ الأرضية لاستقبال هذه

السنّة وبدون هذه المقدمات لا يمكن أن تجري هذه السنّة ، وان كانت كذلك أي لها مجموعة من المقدمات فهل تعرّض القرآن الكريم لبيان هذه المقدمات والمراحل لما تتحلى به هذه السنّة من أهمية قصوى ترتبط مباشرة بمصير الإنسان في كلا الدارين ؟ وهذا ما سوف يكون مضمون المقصد الأول في بحثنا هنا ، وأما المقصد الثاني الذي سوف يقع فيه الكلام فهو ما هي الأسباب التي تؤدي إلى وقوع وجريان هذه السنّة الآلهية أي ما هي الشروط الموضوعية والدوافع التي تتبلور من خلال إرادة الإنسان واختياره لتكون سبباً في جريان هذه السنّة ، إذن فالكلام سوف يقع في هذين المقصدين وان كانا ذوي أبعاد مختلفة ومتشعبة إلاّ أننا سوف نحاول تسليط الضوء على الأمور الأساسية والمهمة فيهما.

المقصد الأول

موقع سنّة الغضب الإلهي

هنا في هذا المقصد نحتاج إلى بيان ، وهو إنّ من المصاديق الجلّيّة والواضحة لسنّة الغضب الإلهي هو عملية الاستئصال وإن كانت هذه المرحلة تعد آخر مرحلة من مراحل هذه السنّة وأشدها رتبةٍ في درجات سلّم سنّة الغضب الإلهي إلاّ أن هذا الاستئصال وكما أتضح لنا يكون تابعاً ومتسلسلاً لمقدمات سبقته رتبة فلا يكون الاستئصال بشكل مفاجئ ، وقد وردت عملية الاستئصال في القرآن الكريم بألفاظ مختلفة وصور عديدة ، ولكون بحثنا هنا هو في موقع سنّة الغضب الإلهي وان الاستئصال يعد من المصاديق الواضحة لهذه السنّة الآلهية لذلك فسوف نتتبع لفظة الاستئصال أو ما يؤدي معناها في القرآن الكريم للوصول من خلال هذا الطريق على موقع ومرحلة سنّة الغضب الإلهي بالنسبة لبقية السنن الآلهية الأخرى ، وسوف نقوم بتقسيم الآيات بحسب مادة الكلمة

التي جاءت بها لفظة الهلاك أو ما يؤدي معناها .

١. مادة (هلاك)

لقد وردت لفظة الهلاك في القرآن الكريم في عدة مواضع وكان المراد منها هو تجسيد لسنّة الغضب الإلهي ، ولكن بعد أن يتم إلقاء الحجة وإلزامها ، أنظر قوله تعالى :

(وَما كانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى حَتّى يَبْعَثَ فِي أُمِّها رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا وَما كُنّا مُهْلِكِي الْقُرى إِلاّ وَأَهْلُها ظالِمُونَ) (٣٠).

لقد ورد في خصوص تفسير هذه الآية الشريفة عن تفسير الجامع لأحكام القرآن الكريم قوله ، قيل في أمّها يعني أعظمها (**رَسُولاً**) ينذرهم ، وقوله تعالى (**يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا**) يتلو في موضع الصفة أي تالياً أي يخبرهم أنّ العذاب ينزل بهم إن لم يؤمنوا (٣١).

وأما عن تفسير الجوهر الثمين فقد قال : قوله تعالى: (**رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِنا**) لإلزام الحجة(٣٢) . وفي آية أخرى وردت لفظة الهلاك لتؤدي نفس المضمون والمعنى في قوله تعالى : **(وَما أَهْلَكْنا مِنْ قَرْيَةٍ إِلاّ لَها مُنْذِرُونَ)** (٣٣). حيث ورد في زبدة التفاسير في خصوص تفسير هذه الآية الشريفة قوله: رسلٌ أنذروا أهلها إلزاماً للحجة ، والمعنى وما أهلكنا من قرية ظالمة إلاّ بعد ما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم(٣٤) ، وأما ما ورد عن تفسير النسفي في خصوص تفسير هذه الآية قال: رسلٌ ينذرونهم، والمعنى ، ما أهلكنا من أهل قرية ظالمين إلاّ بعد ما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم(٣٥).

من خلال ما تقدم من الآيات الكريمة اتضح لنا إن الهلاك الّذي هو من المصاديق الواضحة لسنّة الغضب الإلهي لا يقع إلا بعد الإنذار وإلزام

الحجة بواسطة إرسال الرسل مبشرين ومنذرين لكي لا يكون للناس على الله بعد ذلك حجة بل لله الحجة البالغة ، فموقع ودور سنّة الغضب الإلهي إذن يكون بعد إتمام الحجة وإبلاغ الرسالة وتبيين الشريعة والمنهاج فإذا كفر الناس بعد ما أيقنوا بالحق ظلماً وعدواناً فحينئذٍ يأتي دور ومرحلة سنّة الغضب الإلهي فيأخذهم العذاب بما يشاء الله ، إن السبب الرئيسي لجريان هذه السنّة هو الجحود، وهو الإنكار بعد المعرفة ، وهذا الإنكار أنما يتحقق بعد إلزام الحجة وإتمامها فلا إنكار ألاّ بعد البيان والتوضيح ولهذا يبعث الله عز وجل الرسل لكي يقوموا بهذه المهمة العظيمة في تبيين أمر الدين وهداية الناس إلى الطريق القويم إلى صراط الله المستقيم.

٢. مادة (الأخذ)

لقد وردت لفظة الأخذ في القرآن الكريم لتعبر عن سنّة الغضب الإلهي فهي بمعنى العذاب والعقاب الإلهي الذي يصيب الجماعة العاصية والكافرة من بعد ما تبين لها طريق الحق والهداية وهذا هو المعيار الأساسي لجريان سنّة الغضب الإلهي على الأمم والأفراد، فالأخذ هنا يعني الهلاك والاستئصال ، انظر قوله تعالى **(ذلكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقابِ)** [٣٦] .

وأما ما جاء في تفسير هذه الآية الشريفة فقد ورد عن التفسير الشامل قوله:

قوله تعالى (**ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ فَكَفَرُوا**) لقد كان سبب إهلاكهم وتدميرهم أنهم جاءتهم رسل الله يبلغونهم دعوة ربهم وينذرونهم لقاء الله يوم البعث ويحذرونهم الكفر والنكول عن منهج الله (فكفروا) جحدوا ما أتتهم به رسل الله وأعرضوا عن الحق وأبوا إلاّ

التلبس بالشرك وعبادة الأصنام واتخاذ الآلهة المفتراة المزعومة من دون الله (فأخذهم الله) أهلكهم بعقابه (انه قوي شديد) الله القوي الغالب المنيع الجناب يأخذ الظالمين المجرمين بعقابه الشديد(٣٧)

فسنّة الغضب الإلهي المتمثلة هنا بالأخذ لا تجري إلا بعد إتمام الحجة وإلزامها وبعد أن يتبين الحق من الباطل كما يرى المفسر لهذه الآية الشريفة هنا وهذا هو السياق المنطقي الذي ينسجم مع عدل الله عز وجل فلا عقاب إلا بعد البيان والإعراض عن الحق المبين وهذا ما نقصد به موقع سنّة الغضب الإلهي بالنسبة لبقية السنن القرآنية ، وهناك العديد من الآيات الأخرى التي تؤدي نفس هذا المعنى.

وأما ما جاء عن تفسير المحرر الوجيز في خصوص تفسير هذه الآية الشريفة فقد قال:

قوله تعالى (ذلك) إشارة إلى أخذه إياهم بذنوبهم وان لم يكن لهم منه واق ثم ذكر تعالى السبب في إهلاكهم وهو ما عليه قريش إذ جاءهم رسول الله بالبينات من المعجزات والبراهين فكفروا به وذكر إن الله تعالى أخذهم ووصف نفسه بالقوة وشدة العقاب(٣٨).

فالأخذ هنا أيضاً كان بسبب الكفر بعد ما تبين لهم الهدى من خلال البينات الباهرات والمعجزات الواضحات التي لا ينساب إليها الشك ولا الريب. ولو أنهم أذعنوا لهذه الحجج وانقادوا لأمر الله لرفعت عنهم هذه السنّة وحينئذٍ تستبدل بسنّة أخرى من سنن الله تنسجم مع ماهم عليه من الحال.

ومن الآيات الأخرى التي وردت فيها لفظة الأخذ قوله تعالى: **(وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ)** (٣٩).

هذه الآية الشريفة هي الأخرى تبين لنا إن موقع ودور سنّة الغضب الإلهي المتمثلة هنا بالأخذ يكون بعد إتمام الحجة وإلزامها من قبل الله على الناس بواسطة إرسال الرسل مبشرين ومنذرين فإذا كذبت الأمم رسلها واستهزأت بهم وبما جاؤا به من بينات ودلائل على صدق مدعاهم فعند ذاك تجري عليهم سنّة الغضب الإلهي وهذا المعنى ما ورد عن تفسير جامع البيان حيث قال:

يقول تعالى لنبيه محمد (ص) يا محمد إن يستهزئ هؤلاء المشركون من قومك ويطلبوا منك الآيات تكذيباً منهم ما جئتهم به فاصبر على أذاهم لك وامض لأمر ربك في إنذارهم والإعذار إليهم فلقد استهزأت أمم من قبلك قد خلت فمضت برسلي فأطلت لهم في المهل ومددت لهم في الأجل ثم أحللت لهم عذابي ونقمتي حين تمادوا في غيّهم وضلالهم فانظر كيف كان عقابي إياهم حين عاقبتهم ألم أُذقهم أليم العذاب واجعلهم عبرة لأولي الألباب ؟[٤٠] وأما ما جاء عن التفسير الكبير في خصوص هذه الآية الشريفة فقد قال: اعلم أن القوم لّما طلبوا سائر المعجزات من الرسول (ص) على سبيل الاستهزاء والسخرية وكان ذلك يشق على رسول الله (ص) كان يتأذى من تلك الكلمات فالله تعالى أنزل هذه الآية تسلية له وتصبيراً له على سفاهة قومه فقال إنّ أقوام سائر الأنبياء استهزؤا بهم كما إن قومك يستهزؤن بك (**فأمليت للذين كفروا**) أي أطلت لهم المدة بتأخير العقوبة ثم أخذتهم فكيف كان عقابي لهم ، واعلم أني سأنتقم من هؤلاء الكفار كما انتقمت من اؤلئك المتقدمين والإملاء الإمهال وان يتركوا مدة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله (ص) على سبيل الاستهزاء[٤١] إلى هنا ومن خلال ما ورد في

تفسير الآيتين الشريفتين إن سنّة الغضب الإلهي المتجسدة هنا بالأخذ أنما تقع وتجري بعد أن تقوم الأمم بالجحود والإنكار والاستهزاء برسل الله عز وجل وبالآيات والبراهين الآلهية الدامغة وهنا يكون موقع هذه السنّة الآلهية فلا تجري هذه السنّة من دون أن يكون هناك بيان ودلائل واضحة فمن جحد بعد ذلك جرت عليه هذه السنّة ومن انقاد للرسل والبينات لم تجري عليه هذه السنّة بل تجري عليه سنّة أخرى من سنن هذا الكون.

٣. مادة (الحيق)

هذه الكلمة هي أيضاً من الكلمات التي وردت في بعض آيات القرآن الكريم لتجسد معنىً من معاني سنّة الغضب الإلهي ومن بين هذه الآيات الشريفة قوله تعالى: **(وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ).** (٤٢)

فهذه الآية الشريفة الأخرى تبين لنا إن الحيق والغضب الإلهي لا يكون إلا بعد ما يكون من الناس من الاستهزاء برسل الله وتكذيبهم وعدم الاكتراث بأمر الله عز وجل في الانقياد للشريعة والهداية الحقة، وقد بين لنا ذلك صاحب التفسير الواضح فقال:

(**اسْتُهْزِئَ**) الاستهزاء، السخرية والاستخفاف والاحتقار ويتبع ذلك غالباً الضحك (**فَحاقَ**) أحاط بهم فلم يكن لهم من مخرج والمعنى : يُخبر الله سبحانه وتعالى نبيه الكريم (ص) بصيغة القسم إن الكفار قد استهزؤا قديماً برسل كثير عددهم عظيم شأنهم رسل من قبلك فليس استهزاؤهم بك بدعاً بل أنت مسبوق في ذلك فلا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يفعلون فهذا شأن الكفار قديماً وحديثاً، واعلم انه قد أحاط بهم فلم يكن لهم منه مخرج وليس لهم مفر ولن يفلتوا من عاقبة فعلهم أبداً فالآية إرشاد للنبي (ص) ببيان سنّة الله في الخلق وان العاقبة للمتقين

وان العذاب والخزي للكافرين والمستهزئين[٤٣] .

وأما ما ورد عن تفسير تأويلات أهل السنّة في خصوص هذه الآية الشريفة قال: يُصبّر رسول الله على تكذيب قومه ليعلم أنه ليس هو أول مُكذّب وقد كُذّب الرسل الّذين من قبلك ويخبره أنه يلحق هؤلاء بتكذيبك كما لحق أولئك بتكذيبهم الرسل، وقوله عزّ وجل (فحاق) ،قال أبو عوسجة (حاق) أي رجع يقال، حاق يحيق حيقاً أي رجع عليهم . وقال الكيساني، حاق بهم أي (أحاط بهم ونزل)[٤٤].

فالحيق هنا صورة وهيئة من صور سنّة الغضب الإلهي وان هذه الصورة لا تتحقق إلاّ بعد تحقق مقدماتها التي عرضتها الآية القرآنية السابقة وهي تكذيب الرسل والكفر بما أتوا به من بينات ودلائل من بعد ما تبين لهم انه الحق من ربهم وهذا هو الجحود الذي تكرر معنا في جميع الصور لهذه السنّة الآلهية.

٤. مادة (التدمير)

استخدمت هذه الكلمة في القرآن الكريم وكان المراد منها هو إبراز صورة من صور سنّة الغضب الإلهي التي تجري على الأمم الظالمة ، فالتدمير هنا بمعنى الهلاك والاستئصال أنظر قوله تعالى **(وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسَى الْكِتابَ وَجَعَلْنا مَعَهُ أَخاهُ هارُونَ وَزِيراً ❖ فَقُلْنَا اذْهَبا إِلى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَدَمَّرْناهُمْ تَدْمِيراً)**[٤٥]. لقد جاء في تفسير هذه الآية الشريفة عن تفسير القرآن العظيم قوله : يقول تعالى متوعداً من كذّب رسوله محمد (ص) من مشركي قومه ومن خالفه ومحذرهم من عقابه وأليم عذابه مما أحله بالأمم الماضية المكذبين لرسله فبدأ بذكر موسى (ع) وأنه بعثه وجعل معه أخاه هارون وزيراً أي مؤازراً ومؤيداً وناصراً فكذبهما فرعون وجنوده **(دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا)** وكذلك

فعل بقوم نوح حين كذّبوا رسوله نوحاً (ع) ومن كذّب برسول فقد كذّب بجميع الرسل إذ لافرق بين رسول ورسول[٤٦].وهذا المعنى أيضاً يؤكد لنا أن موقع سنّة الغضب الإلهي الّذي كان التدمير مصداقاً من مصاديقه أنما يكون بعد أتمام الحجة وإلزامها أي بعد تكذيب رسل الله وعدم الانقياد لما يأتون به من البينات ، وهذا ما أطلقنا عليه سابقاً بأنه الجحود الذي يؤدي إلى إمضاء هذه السنّة وجريانها سواء على الأمم أو الأفراد.

٥. مادة (الرجز)

هذه الكلمة هي الأخرى أُستخدمت في القرآن الكريم وكان المراد منها هو أظهار صورة من صور سنّة الغضب الإلهي ، وقد استعملها القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى : **(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ)** [٤٧].وأما ما ورد في تفسير هذه الآية الشريفة فعن المحرر الوجيز قال: (بدل) معناه غيّر اللفظ دون أن يذهب بجميعه وأبدل إذ ذهب به وجاء بلفظ آخر والإشارة بالقول إلى بني إسرائيل **(حبة في شعرة أو حنطة في شعيرة)** والرجز الذي أرسل عليهم طاعون يقال مات منه في يوم سبعون ألفا[٤٨].

وأما ما ورد عن تفسير معا رج التفكر في خصوص هذه الآية الكريمة فقد قال : أي إن ظلمهم وهو تجاوزهم لحدود الله قد كان من نوع الفسق ولا يلزم أن يكون هذا العصيان أثراً من آثار جحود ربوبيته الله عز وجل أو إلهيته بل قد يكون أثراً من آثار إتباع الهوى مع سلامة الإيمان والإسلام من النقص[٤٩].

٦. مادة (قصم)

لقد استعمل القرآن الكريم هذه الكلمة ليبين لنا جريان سنّة الغضب الإلهي في مورد الظلم ولم ترد هذه الكلمة الاّ في آية واحدة من آيات القرآن الكريم وهي قوله تعالى:

(وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وَأَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْماً آخَرِينَ) [٥٠].عن تفسير الميزان قال في خصوص هذه الآية الشريفة : القصم في الأصل الكسر يقال قصم ظهره أي كسره ويكنّى به الهلاك ، وأما الإنشاء فهو الإيجاد والإحساس والإدراك من طريق الحس ، وقوله كم قصمنا وأهلكنا من قرى أي أهلها كانت ظالمة لنفسها بالإسراف والكفر[٥١].

المحور الثاني

أسباب جريان سنّة الغضب الإلهي

بعد أن تقدم الكلام عن مرحلة وموقع سنّة الغضب الإلهي بالنسبة لباقي السنن الآلهية، نقوم الآن في هذا المبحث بدراسة الأسباب والدوافع التي تؤدي إلى جريان هذه السنّة الآلهية على الأمم والأفراد، ونشير إلى إننا قد أثبتنا في المبحث السابق إن السبب الرئيسي الّذي نراه موجوداً في جميع التفريعات الأخرى لجريان هذه السنّة هو الجحود والذي قلنا أن معناه الإنكار بعد المعرفة وعدم التسليم والانقياد للبراهين الساطعة والمعجزات الباهرات التي تنفي كل أنواع الريب والشك، التي يأتي بها الأنبياء والأولياء إلى أقوامهم.

إلاّ إن هذا الجحود والإنكار له شعب وتفريعات مختلفة تعرض لها القرآن الكريم بشكل واضح وصريح منها تكذيب الأنبياء ومنها الكفر بالنعم الآلهية الواسعة، ومنها الشرك بالله الواحد الأحد ، وهناك

مصاديق أخرى ذكرها القرآن الكريم كلّ واحد منها يعد سبباً في جريان هذه السنّة الآلهية، إننا في هذا المبحث سنحاول أن نسلط الضوء على أهمّ هذه الأسباب بما يتناسب ومقدار هذا البحث، وأما الأسباب فهي كالتالي:

١. الكفر

إن كلمة الكفر بمعنى كفر الشيء أي غطاه ولهذا يطلق على الليل كافر لستره على الناس وكذلك يقال الزارع كافر لتغطيته الحب بالتراب، وأما المراد بها هنا هو تغطية الفطرة الإنسانية المجبولة على التوحيد والإيمان بالله وطاعته والانقياد والامتثال لأوامره التشريعية التي جاء بها الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، فإننا لو تأملنا في الإنسان هذا المخلوق العجيب لوجدناه ذو بعدين أساسيين بعد مادي مُلكي وآخر روحي ملكوتي، أما البعد المادي فهو يتجسد بهذا البدن الذي يفنى ويزول بعد الموت وأما البعد أللكوتي فهو يتمثل بهذه الروح الباقية الخالدة ما بعد الموت والانتقال من هذا العالم إلى عالم البرزخ، وهذه الروح تعتبر هي العنصر الأساسي في مسيرة الإنسان منذ الولادة إلى الممات، وان هذه الروح تتكامل وتصل إلى مراتب عالية جداً لا يعلمها إلا الله عز وجل إذ هو الّذي نفخ فيها من روحه وأن غذاء هذه الروح هو العبادة والتقرب إلى الله بشتى الطرق المباحة التي حثت عليها الشرائع السماوية، ومن هنا نفهم لماذا دعانا الله عز وجل إلى امتثال أوامره والتقرب إليه وعدم الزيغ عن أوامره كما أمرنا بذلك عز وجل في سورة النحل حيث قال: (**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**)[٥٢].

فالكفر إذن هو مخالفة مقتضى الفطرة الإنسانية المجبولة على التوحيد والسير على عكس مراد الفطرة مما يؤدي في نهاية المطاف إلى توقف عملية التكامل والنمو الروحي في المسيرة الإنسانية فحينئذٍ سوف لا يكون هناك جدوى من بقاء الإنسان ذلك لأن أصل خلقة الإنسان كان لهدف التكامل والرقي الروحي وأنه لا سبيل لهذا التكامل إلاّ عن طريق إشباع هذه الفطرة من خلال العبادة بجميع صورها، كما أخبر عن ذلك الله عز وجل في كتابه العزيز حينما قال: (**وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**)(٥٣).

فالكفر في النهاية يؤدي بأهله إلى جريان سنّة الغضب الإلهي عليهم من خلال هذا الطريق وهو أنه لا جدوى بعد الكف من بقائهم لأن مسيرة التكامل التي خلقوا لأجلها تتوقف بواسطة هذا الكفر ولعلنا نشهد ذلك واضحاً وجلياً في الحوار الذي دار بين الرب وبين النبي نوح (ع) حينما قال: (**وَقالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكافِرِينَ دَيَّاراً ❖ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فاجِراً كَفَّاراً**)(٥٤).

إن هذا الكفر وهذا الإصرار على الغي والضلال وإضلال عباد الله كان هو السبب بأن يحلُ على هؤلاء القوم الغضب الإلهي فشملتهم عقوبة الاستئصال فأغرقوا كما قال تعالى مخبراً عن حال هؤلاء القوم : (**مِمَّا خَطِيئاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا ناراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصاراً**) (٥٥).فبسبب كفرهم وعدم إيمانهم بالنبي نوح (ع) مع ما تبين لهم من البراهين والحجج الساطعة كان عاقبتهم أنهم أُغرقوا وأهلكوا بهذه العقوبة الآلهية التي تمثل أجلى مصداق من مصاديق سنّة الغضب الإلهي، وشبيه لهذا الموقف نراه تكرر مع أقوام آخرين أي أنهم جرت عليهم سنّة الغضب الإلهي بسبب كفرهم وعدم امتثالهم للأمر الإلهي

كما ذكر لنا القرآن الكريم في قوله تعالى: (**ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ)**[٥٦].لقد ورد عن تفسير الميزان في معنى هذه الآية الشريفة أنه قال: (الأخذ كناية عن التعذيب والنكير الإنكار)[٥٧].وشبيه ذلك أيضاً ما حدث مع بني إسرائيل عندما خالفوا نبيهم وكفروا بالله العزيز فقد حلّ عليهم غضب من الله عز وجل بسبب هذا الكفر كما جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: **(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَباؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ)**[٥٨].

فالكفر أذن هو أحد أهم الأسباب التي تؤدي إلى جريان سنّة الغضب الإلهي في الأمم والأفراد على حدٍ سواء ولا يستثنى من ذلك أحد في أي زمان أو مكان كان فكلٌ من علم الحق وأيقن به ولزمته الحجة والبرهان ثم أنكره وجحد به فقد هيأ على نفسه المقدمات لأن تجري عليه سنّة الغضب الإلهي شاء أم أبى ذلك .

٢. الشرك بالله

من الأسباب المهمة الأخرى التي تكون سبباً لجريان سنّة الغضب الإلهي هو الشرك بالله تعالى، والشرك هو أن يجعلون مع الله شريكاً يعبدوه ويتقربون إليه بشتى الوسائل ظناً منهم إن له تأثير في هذا الكون سواء كان هذا التأثير سلبي أم إيجابي فينسبون له بعض الأفعال مباشرة في هذا الكون والعياذ بالله، على أنهم يؤمنون بالله بأنه خالق لهذا الكون ومدبراً لشأنه ولكن في نفس الوقت يؤمنون بوجود شريك معه في الربوبية له تأثير مباشر في الكون ولعل هذا ما ذهبت إليه الوثنية وغيرها من الملل والنحل الأخرى، وطبعاً يعتبر هذا من باطل القول فقد أثبتت البراهين العقلية والنقلية أنه لا إله إلاّ الله الواحد القهار فلا مدبر للكون غيره ولا مؤثر في

الكون غيره وكل قول خلاف هذا فهو باطل وسخيف. فالشرك يعد سبباً مباشراً في جريان سنّة الغضب الإلهي وقد صرحت الآيات القرآنية الكثيرة بذلك منها قوله تعالى في سورة الأعراف في مورد بني إسرائيل: (**إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ**)[٥٩].لقد أورد صاحب التفسير الامثل في خصوص هذه الآية الشريفة قوله : أن التعبير باتخذوا إشارة إلى إن الصنم ليس له واقعية ولكن انتخاب عبدة الأوثان هو الذي أعطى ذلك الصنم تلك الشخصية والقيمة الوهمية ولهذا أتى بكلمة (العجل) وراء هذه الجملة فوراً يعني أن ذلك العجل هو حتى بعد انتخابه للعبادة هو نفس ذلك العجل. ثم قال أن معصية الوثنية والسجود للعجل في ذلك النطاق الواسع وفي تلك المدة القصيرة وبالنسبة إلى ذلك الشعب الذي شاهد بأمّ عينيه كل تلكم المعاجز والآيات ، لم تكن معصية يمكن العفو عنها بمثل هذه السهولة مثل أن يقول مرتكبها استغفر الله وينتهي كل شيء بل لابد أن يرى هذا الشعب غضب الله ويذوق طعم المذلّة في هذه الحياة ويجب أن يساط الّذين افتروا على الله الكذب حتى لا يفكروا مرة أخرى في مثل هذا الذنب العظيم بسهولة وبساطة[٦٠].

فالشرك بالله العزيز والوثنية من بعد انكشاف الحقائق أي بمعنى الجحود والإنكار للبينات الواضحات والبراهين الساطعات تؤدي إلى شمول هؤلاء القوم بسنّة الغضب الإلهي ، وهذه السنّة عامة لا تستثني أحداً من شمولها فكل من يجعل مع الله شريكاً وهو يعلم إن هذا باطل وانه لا إله إلاّ الله فقد هيأ المقدمات لتشمله هذه السنّة.

وأما ما ورد عن تفسير الكشاف في خصوص هذه الآية الشريفة فقد قال: (**غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ**) الغضب ما أُمروا به من قتل أنفسهم ، والذلّة

خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال أبناؤهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية، (**الْمُفْتَرِينَ**) المكذّبين على الله تعالى ولا فرية أعظم من قول السامري، هذا إلهكم وإله موسى(٦١).

فالشرك بحسب منطوق هذه الآية الشريفة وبحسب مفهومها يؤدي إلى جريان سنّة الغضب الإلهي على الأمم والأفراد على أن يكون هذا على نحو الجحود والإنكار الذي يحصل بعد المعرفة وأنا إذ أؤكد على هذا الأمر لأن هناك من المصاديق من كان مشركاً بالله ولكن بجهله بالحقيقة وحينما انكشفت له الحقيقة آمن بالله وحده فرفع لأجل ذلك عنهم العذاب ولم تشملهم هذه السنّة الآلهية مثل قوم بلقيس التي آمنت هي وقومها مع سليمان (ع) مع أنهم كانوا من قبل يعبدون الشمس والكواكب ظناً منهم أن لها تأثير في هذا الكون ولكن عندما انكشفت لهم الحقيقة على يد النبي سليمان عليه السلام آمنوا به وكفروا بجميع الآلهة المزيفة والكاذبة الأخرى وانقادوا لله الواحد القهار فكان ذلك سبباً بأن لا تنالهم سنّة الغضب الإلهي.

٣. الطغيان

يعتبر الطغيان من الأسباب الرئيسية الأخرى التي تؤدي إلى حلول غضب الله عز وجل كما أشار تعالى إلى ذلك في القرآن الكريم في قوله: **(كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى)**(٦٢).

فالآية الكريمة هذه تبين لنا إن من الأسباب الرئيسية لحلول الغضب الإلهي هو طغيان العبد وان كان الشيء الذي أشارت إليه الآية الشريفة هنا هو الأكل إلاّ إن هذا يعتبر مصداق واضح من مصاديق الطغيان ،

فالطغيان يمكن أن يحصل في كل شيء سواء في الأمور المادية أو الأمور المعنوية ، ولقد ورد في تفسير هذه الآية الشريفة عن تفسير الامثل قوله:

فالطغيان في النعمة هو أن يتخذ الإنسان هذه النعم وسيلة للذنب والجحود والكفران والتمرد والعصيان بدل ان يستغلها في طاعة الله وسعادته تماماً كما فعل بنو إسرائيل حيث تمتعوا بكل هذه النعم ثم ساروا في طريق الكفر والطغيان والمعصية ولذلك حذرتهم الآية بعد ذلك فقالت **(فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى)** هوى في الأصل بمعنى السقوط من المكان المرتفع والذي تكون نتيجته الهلاك عادة إضافة إلى انه هنا إشارة إلى السقوط ألرتبي والبعد عن قرب الله والطرد من رحمته(٦٣)

وأما ما ورد عن تفسير الميزان في خصوص هذه الآية قال : قوله تعالى **(وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي)** ضمير راجع إلى الأكل المتعلق بالطيبات وذلك بكفران النعمة وعدم أداء شكره كما قالوا : **(يا مُوسى لَنْ نَصْبِرَ عَلى طَعامٍ واحِدٍ فَادْعُ لَنا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِها وَقِثَّائِها وَفُومِها وَعَدَسِها وَبَصَلِها)**(٦٤) .

وقوله **(فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي)** أي يجب ويلزم من حلّ الدين يحلّ من باب ضرب إذا وجب أداؤه.وقوله **(وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوى)** أي سقط من ألهوي بمعنى السقوط وفسّر بالهلاك(٦٥).فالطغيان إذاً يعد من الأسباب الرئيسية في جريان سنّة الغضب الإلهي على الأمم والطغيان كما بينه لنا صاحب التفسير الامثل هو أن يقوم العبد باستخدام النعم الآلهية في المعصية والجحود كما نشهده اليوم في كثير من المجتمعات المادية التي تستخدم وسائل الحياة المادية المتطورة في المعصية من قبيل ما يؤكل وما يركب وكذلك اللذائذ المعنوية الأخرى بل إن

بعض المجتمعات المعاصرة أصبحت تتوسل بأبشع الطرق للوصول إلى أهداف مادية دنيئة ليس لله فيها رضاً البتة. ولعل من الآيات الأخرى التي أشارت إلى هذه الحقيقة القرآنية هي قوله تعالى في سورة الإسراء: **(وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً)** (٦٦).

فقد ورد عن صاحب الميزان قوله في ذيل هذه الآية الشريفة انه قال: **(وَإِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً)** أي إذا دنا وقت هلاكهم من قبيل قولهم إذا أراد العليل أن يموت كان كذا ، أي إذا دنا وقت موته ومن المعلوم انه لا يريد الموت بحقيقة معنى الإرادة ، ويمكن أن يراد به الإرادة الفعلية وحقيقتها توافق الأسباب المقتضية للشيء وتعاضدها على وقوعه وهو قريب من المعنى الأول وحقيقته تحقق ما لهلاكهم من الأسباب وهو كفران النعمة والطغيان بالمعصية كما قال سبحانه : (**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ**) (٦٧).وقال (**الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ❖ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ ❖ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ ❖ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ**) (٦٨).**وقوله (أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها)** من المعلوم من كلامه تعالى انه لا يأمر بالمعصية أمراً تشريعياً فهو القائل (**إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالفَحْشاءِ**)(٦٩).وأما الأمر التكويني فعدم تعلقه بالمعصية من حيث أنها معصية أوضح لجعله الفعل ضرورياً يبطل معه تعلقه باختيار الإنسان ولا معصية من عدم اختيار قال تعالى(**إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**) (٧٠).فمتعلق الأمر في قوله أمرنا إن كان هو الطاعة كان الأمر بحقيقة معناه وهو الأمر التشريعي وكان هو الأمر الذي توجه أليهم بلسان الرسول الذي يبلغهم أمر ربهم وينذرهم بعذابه لو خالفوا وهو الشأن الذي يختص بالرسول فإذا خالفوا وفسقوا عن أمر ربهم حق

عليهم القول وهو أنهم معذبون أن خالفوا فأهلكوا ودمروا تدميراً[٧١] .فمن خلال ما أشار إليه المفسرون السابقوا الذكر نفهم إن الطغيان يعتبر من الأسباب الأساسية والجوهرية التي تؤدي إلى جريان سنّة الغضب الإلهي في الأمم ، وللطغيان مصاديق كثيرة تعرض لها القرآن الكريم في أكثر من مكان فقد يكون الطغيان في الأمور الاعتقادية أو قد يكون الطغيان في الأمور المادية أو قد يكون في أمور الظلم والبطش بالأبرياء والمساكين وغيرها من الأمور الأخرى وجميع هذه المصاديق تؤدي في نهاية المطاف إلى جريان سنّة الغضب الإلهي على مرتكبي هذه الجرائم سواء كانوا يمثّلون أمماً أو أفراداً. نكتفي بذكر هذه الأسباب الثلاثة فقط في مورد الأسباب التي تؤدي إلى جريان سنّة الغضب الإلهي مع إن القرآن الكريم ذكر أمور أخرى كثيرة متفرقة ، و سبب ذلك هو إننا ومن خلال متابعة الآيات القرآنية التي تحدثت عن جريان هذه السنّة الآلهية وجدنا أن هذه الأسباب التي ذكرناها تشترك مع جميع الموارد بل يمكن أن نقول إن ما ذكرناه من أسباب يعد بمثابة القواعد والأصول الأساسية التي تتفرع منها بقية الأسباب الأخرى التي لها دور في جريان هذه السنّة الآلهية على الأمم. ولتوضيح ذلك نذكر مثالاً الظلم ، فالظلم هو سبب آخر من الاسباب التي تؤدي إلى جريان سنّة الغضب الإلهي ولكن نفس هذا الظلم يعد أثراً من آثار الشرك بالله عز وجل أي بمعنى لولا أن يكون الإنسان مشركاً بالله بحيث انه يرى إن هناك مؤثراً ومحركاً آخر لهذا العالم لما كان ليظلم ، على أن أعلى وأشد مراتب الظلم هي الشرك بالله العزيز كما ورد ذكر هذه الحقيقة على لسان لقمان عندما كان يعظ ابنه فقال (**يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**)[٧٢]. فأعظم الظلم هو الشرك بالله العزيز ، وعندما عرّف لنا القرآن هذا النوع بأنه أعظم

الظلم ذلك لأن هذا النوع يكون سبباً في نشوء مظالم كثيرة للنفس وللعباد ، فلو كان الإنسان يعلم أنه لا مؤثر في الوجود غير الله عز وجل وأنه هو وحده الذي يضّر وينفع وانه ليس لغيره عز وجل أن ينفع أو يضر فإن هذا الاعتقاد سوف يؤدي في النهاية إلى رفع الكثير من المظالم بين الناس وسوف يدفع بعجلة الرقي البشري إلى أبعد ما يمكن أن نتصوره من الكمال المادي والمعنوي وسوف يهيئ الأرضية المناسبة للحياة السعيدة القائمة على دعائم العدالة والمحبة بين الشعوب والأمم المختلفة.

وأما النوع الآخر من الظلم فهو ظلم العباد وهذا النوع الآخر يرجع إلى الشرك بالله العزيز لأن منشأ هذا الظلم هو إرضاء النفس الضالة وإشباع رغباتها الغير شرعية ، فهو انقياد لرغبات النفس أي بمعنى أن يكون الإنسان عبداً لرغباته وشهواته وسبب ذلك هو عدم التسليم الكامل للشرائع السماوية التي جاء بها الأنبياء العظام والتي تنظم وتضع القوانين الملائمة التي تضمن حقوق الجميع ، إلاّ إن الكثير من الناس لا يروقهم ذلك وأن كانوا يدّعون أنهم مسلمون وأنهم يمتثلون للأمر الإلهي ولكنهم في الحقيقة لا يطبقون من القوانين الآلهية إلا ما كان يروق لهم وينسجم مع رغباتهم وأمّا الأمور التي تتصادم مع رغباتهم فنراهم يزيغون عنها وكأنهم لم يسمعوا بها ولم يعرفونها ، أن هذا النوع من الظلم يؤدي إلى تعجيل العقوبة الآلهية على مرتكبيها ومن هنا نجد إن الفقهاء أسسوا لقاعدة وهي أن حقوق الله مبناها التسامح والمساهلة وأما حقوق العباد مبناها الضيق والشح ، فظلم الناس فيما بينهم يؤدي إلى جريان سنّة الغضب الإلهي كما أن هذا الظلم منشأه يعود إلى الشرك بالله العزيز.

وأما النوع الآخر من الظلم فهو ظلم النفس من خلال ارتكاب المعاصي

وإلقاءها في التهلكة بسبب اليأس من رحمة الله الذي يصيب الإنسان بسبب إتباعه لوسوسة الشيطان وما هذا إلا لأنه ابتعد عن طاعة الله عز وجل وانقاد إلى رغباته وإلى وسوسة الشيطان لعنه الله. وان هذه الأمور جميعها تؤدي إلى حلول غضب الله ولعلنا من هنا نفهم لماذا نجد أحيانا بعض النصوص تعبر عن الغضب الإلهي بالشديد وكأن للغضب الإلهي مراتب من الشدة والضعف تتلاءم مع نوعية الذنب ودوافعه التي أدت إلى صدوره من الإنسان.

فأحياناً يبلغ الغضب الإلهي درجة تؤدي إلى استئصال الأمم وأحياناً أخرى يكون بدرجة بحيث يمكن للإنسان أن يعود إلى رشده فيتوب من ذنبه مما يؤدي إلى رفع الغضب الإلهي عنهم كم كان ذلك مع قوم نبي الله يونس الّذين شملتهم رحمة الله عز وجل فرفع عنهم العذاب لأنهم تابوا إلى الله وأنابوا إليه واتبعوا النبي الذي أرسل إليهم فكانوا بذلك أهلاً لأن يشملهم اللطف الإلهي. وأحياناً يكون الغضب الإلهي بدرجة انه يمكن رفعه عن الناس بالاستغفار وبالعمل الصالح بل يمكن حتى أن تتبدل الأعمال السيئة لهؤلاء القوم بأعمال صالحة تحل محلها ضمن شروط وضوابط أشار إليها القرآن الكريم كما في قوله تعالى: **(فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ)**[٧٣] .وقوله تعالى: **(إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ)**[٧٤].

وهذا البحث له ارتباط وثيق في نوعية الذنوب والأسباب التي تؤدي إلى صدورها من الإنسان فبعض الذنوب تكون صادرة من القوة الشهويّة ولهذه الذنوب نوع من الآثار الخاصة بها وهناك نوع من الذنوب تكون صادرة من القوة الخيالية وهذه أيضاً لها آثارها الخاصة بها وهناك نوع آخر من الذنوب تصدر من القوة العقلية ولعلها أشد أنواع الذنوب

ولهذه أيضاً آثارها الخاصة بها ولكنها جميعها تشترك في كونها من آثار الشرك بالله العزيز.إذ إن جميعها تكون بدافع إن الإنسان يرى إن هناك مؤثراً آخراً في الوجود سواءٍ كان هذا التأثير سلبي أي بجلب الضرر إلى الإنسان فيحاول أن يرتكب المعاصي لدفع الضرر عن نفسه ، كان يقوم بالسرقة مثلاً لأنه لا يوقن أن الرزق بيد الله عز وجل وان ما قدر له من رزق لا يتلاءم مع حاله ، فلو كان يعتقد بأن الرزق بيد الله وان ما قُدر له يتلاءم مع حاله ورضي به لما أقدم على ارتكاب هذا العمل. وهكذا الحال بالنسبة للحالة الايجابية أي بمعنى الحصول على المنفعة المحرمة الغير شرعية عن طرق ملتوية لا يقرها الشارع المقدس كما نراه في زماننا من بعض الّذين يدعون أنهم يريدون أن يخدموا الناس ويخلصونهم من الظلم فيكذبون على الناس ويتقربون أليهم بطرق دنيئة للوصول إلى أهداف شخصية وفردية دنيوية زائلة وهذه الأعمال تعود أيضاً إلى الشرك بالله العزيز وإطاعة هوى النفس ومحاولة إرضاء وإشباع الرغبات الزائلة حتى وان كان هذا على حساب معصية الله، وهناك الكثير من الأمثلة على ذلك التي لا مجال لذكرها هنا.

وهذه الأمثلة آنفة الذكر هي مصداق من مصاديق الظلم الذي يؤدي إلى جريان سنّة الغضب الإلهي وكما اشرنا إليه من إن بعض الذنوب تكون قابلة للغفران ولزوال آثارها بالتوبة والاستغفار والبعض الآخر تغفر عن طريق التوبة ورد المظالم إلى أصحابها والبعض الآخر تغفر عن طريق التوبة والكفارات ورد المظالم ، وسبب ذلك يعود إلى الدوافع التي تؤدي بصاحبها إلى ارتكاب هذه الذنوب وأيضاً آثار هذه الذنوب على المسيرة الإنسانية ، فهناك نوع من الذنوب لا يجدي معها سوى الاستئصال لأنها لو لم تستأصل فسوف تؤدي إلى توقف المسيرة البشرية

كما حصل ذلك مع قوم لوط الذين شملتهم عقوبة الاستئصال بسبب ما اقترفوه من ذنب عظيم، كما أن نفس هذا الذنب لو قُدر له أن يكون هو الرسم العام والصفة الملازمة لبني الإنسان فسوف يسوق البشرية بطبيعته إلى الفناء والزوال لأن فيه قطع النسل البشري وانهدام القانون الكوني الذي يحكم البشر فلا جدوى حينئذٍ من بقاء الإنسان الذي خلقه الله ليتكامل ويرتقي في سلم البناء الروحي والفكري ليعمر الأرض ويكون خليفة الله ويحكم بما انزل الله من شرائع ، وهذا يتقاطع تماماً مع ما ذهب إليه هؤلاء القوم.

ونفس هذا الموقف نراه مع قوم النبي نوح (ع) الّذين كفروا بالله العزيز واستهزؤا برسوله أقصى غاية الاستهزاء ولأمد طويل جداً بحيث إن الحجة ألقيت تماما على هؤلاء القوم إلاّ إنهم لم يرتدعوا ولم ينيبوا إلى داعي الله مع ما علموا من البينات والآيات الباهرات فقد لبث نبي الله نوح (ع) فيهم تسعمائة وخمسون عاماً يبلغهم ويهديهم إلى طريق الله فلم يستجيب له إلا نفر قليل من قومه وهؤلاء هم الذين نجاهم الله عز وجل من الغرق إذ ركبوا معه في السفينة التي أمره الله إن يصنعها لذلك اليوم الرهيب الذي غرقت فيه الأرض ومن عليها بسبب فعل هؤلاء القوم وبسبب كفرهم.

وأما في الجهة المقابلة فنجد قوم نبي الله يونس (ع) الذين أنابوا إلى ربهم في نهاية المطاف واستجابوا إلى نداء نبيهم وأخلصوا إلى الله توبتهم فكان ذلك سبباً لأن يُرفع عنهم العذاب الإلهي وان لا تشملهم سنّة الغضب بل شملتهم سنّة أخرى فكانوا أهلاً لأن تسعهم رحمة الله عز وجل ، وهذا هو في الحقيقة مسار السنن فهي تابعة لإرادة الناس وسلوكهم واختيارهم كما بين لنا ذلك القرآن الكريم حينما قال **(إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما**

بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ)[٧٥]. وخلاصة ما أود أن أشير إليه هنا هو إنني ومن خلال استقرائي للآيات القرآنية وجدت إن هناك ثلاث أصول رئيسية ، هي بمثابة المحور الذي تدور حوله سنّة الغضب الإلهي أي بمعنى متى ما توفر أحد هذه الأسس واكتملت شروطه فإن سنّة الغضب الإلهي سوف تجري بنحو ما في ذلك المكان والزمان. وهذه الأسس والأصول هي كما مرّ معنا مفصلاً (الكفر ، والشرك ، والطغيان) ومن خلال هذه الأصول تتفرع فروع كثيرة جميعها تعود في النهاية إلى أحد هذه الأصول.

المبحث الثالث

سبل الاحتراز من سنّة الغضب الإلهي

التربية بالسنن تعني استغلال الأجواء النفسية التي ترافق وقوع الأحداث والمواقف في إعطاء توجيه معين يتعلق بالكيفية المثلى للتعامل مع الحدث والاستفادة منه.

ويعد أسلوب التربية بالسنن من أبرز الأساليب التربوية ارتباطاً بالجانب العملي للتربية وتحقيقاً للربط المباشر بين الأهداف التربوي وأحداث ومواقف الحياة المختلفة، كما يعد نزول القرآن الكريم منجماً حسب الوقائع والأحداث الأساس الأول الذي يبرز حقيقة التربية بالأحداث، ذلك أن القرآن الكريم ظل ينزل نجوماً مدة ثلاث وعشرين سنة، يتدرج مع النفوس في تربيتها، ويعالج الأحداث فور وقوعها، ويتماشى مع تطور المجتمع الإسلامي ونضج أفراده واستيعابهم لمتطلبات الدعوة ومتغيرات الحياة المختلفة. قال تعالى: { وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَه عَلى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلا }.

وبهذا كان أسلوب تنزيله أساساً لنجاح التربية وعمق أثرها في النفوس، فقد جعل من كل هزيمة عبرة، ومع كل نصر درس اً، ولكل موقف تحليلا ، كما كان بناؤه مظهراً رائعاً للخلود، جعله صالحاً للسير مع كل نفس موجهاً لكل جيل، بانياً لكل أمة لتماثل النفوس وتشابه الأحداث ، وتكمن أهمية هذا الأسلوب في أنه يجيء اكثر الاحيان في أعقاب الحدث ليثير العواطف ويحرك المشاعر ويهز النفس كلها هزاً في جعلها أكثر قابلية للتأثير والاستجابة، ويكون التوجيه المصاحب للحدث أعمق وأطول أمداً في التأثير من التوجيهات العابرة التي تأتي بغير انفعال ولا حدثٍ يهز المشاعر.

وقد كانت التربية بالسنن من أبرز الأساليب التي تربى بواسطتها الأنبياء والمرسلون عليهم السلام الى من بعثوا فيهم.

ولكي تتم الفائدة من وراء هذا البحث أجد من الضروري أن ننتقل في بحثنا إلى كيفية الاحتراز من هذه السنّة ومنع جريانها من وجهة نظر التربية وفق السنن الالهية في القرآن الكريم ، أي بمعنى آخر هل يمكن أن نجنب أنفسنا من أن تجري علينا هذه السنّة أم لا؟

ولعل الجواب الابتدائي على هذا السؤال هو انه نعم فبالتأكيد يمكن أن نجنب أنفسنا ذلك لأن هذه السنّة كما مرّ معنا حالها حال بقية السنن الأخرى فهي تابعة لضوابط وقوانين تنبع في الأصل من سلوك الإنسان واعتقاده التابع لاختياره الكامل ولإرادته.

إنَّ اليقين بالثواب والعقاب وفق سنة الغضب الالهي يترتب عليه، أثار الإيمان بالله وتوحيده ويورث الإنقطاع إلى الله والتفويض والرضا، فهو استقرار النور في القلب والصدر وذلك أن النور في القلب والشهوات بظلمتها وفوران دخانها متراكمة على القلب وبين رؤية أمور الغيب فهو

مقر بالغيب من الجنة والنار والحساب وأهوال الموقف وتدبير الله تعالى في الدنيا، [٧٦] قال الرسول(ﷺ): "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"[٧٧] فمن هذا الطريق يتوصل إلى اليقين' واليقين هو ارتفاع الشك[٧٨].

فالموحد بتوحيده الصادق لله يوقن تماماً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وعليه فهو لا يخشى إلا الله ولا يأبه إلا بسخطه تعالى فالتوحيد يعزز يقين، المرء بقدرة الله تعالى وتفرده بتصريف شؤون الخلق. ومن أهم أثار التوحيد والعدل هي المبادرة إلى العمل الصالح فالموحّد بالله تعالى لا يؤجّل ولا يسوف وإنما يبادر إلى العمل الصالح دون تباطؤ أو تأخير.

والعمل لكي يكون مقبولاً يجب أن يكون خالصاً لله تعالى فإنَّ الله تعالى لا يقبل الشركة في العمل، والإخلاص فيه هو المقبول عند الله تعالى والمرفوع إليه.

لأن قبول الأعمال متوقف على صحة النيات ولأن العمل إذا كان صالحاً ومسبوقاً بنيّة صادقة، فإنَّه يكون عندئذ مقبولاً إن شاء الله تعالى.

ومن هنا فأن الإسلام يهتم بدوافع العمل لا بمنافعه، وأنه يستمد قيمته من الدوافع لا من المنافع، فلا عمل إلا بنيّة، وما لم تتوفر النيّة الصالحة لا يكون العمل صالحاً مهماً كانت منافعه التي تنشأ عنه[٧٩].

ولا شك أن إنشاء النظام الإجتماعي، هو الذّي ترى فيه الحضارة غاية أساسية له، إلا أن الأفراد هم حجر الأساس التي تشيد كلّ جماعة صرحها، وإنما الذّي يتوقف عليه تماسكها هو أن يكون كلّ حجر من أحجاره مهذباً صقيلاً، وأن لا تكون قد استعملت من ناحية منه مادة رديئة فاسدة. [٨٠]

وهذا إنَّما يكون بالدين، فالدين هو الصوت الداخلي الذّي يوجه سلوك الفرد، والنفس ضمن سياق الدين القويم نجد في ذاتها حرارة روحية متجددة لازمة لصحة الإنسان النفسية والعقلية والإجتماعية وهذا شرط ضروري للفرد والمجتمع على حد سواء، وهنا يتأتى الاتجاه النفسي.

فالتربية وفق السنن الالهية انما يراد من الإنسان أن يصنع نفسه صنعاً إسلامياً، ويكون ذا شخصية أشبه بالميزان الذّي يوزن به الناس، أو أشبه بوحدة القياس التي يقاس بها السلوك البشري فيوصف باعتداله أو بجنوحه.

فإن الإسلام يقيس قيمة الأعمال بالدوافع والمقدمات والإطارات الفكرية العامة التي تختصر بذرة العمل ضمن نطاقها، بينما يقيس غيره قيمة الأعمال بالنتائج والمنافع والمجالات الحياتية التي يساهم العمل في اصلاحها(٨١).

ويبقى العمل الصالح هو المقياس والميزان الذّي توزن به أعمال الناس، فالعمل الصالح نتيجة للحياة الطيبة الكريمة الآمنة كما في قوله تعالى: **(مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أو أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)**(٨٢).

وهو وعد من الله عزّ وجلّ لمن عمل صالحاً، وهو العمل المتابع للكتاب وسنّة نبيه(ص)، وقلبه مؤمن بالله ورسوله(ص).

وعلى هذا الأساس رفض القرآن رفضاً باتاً إمكان المقايسة والمقارنة بين العمل، الذّي يحققه الإنسان ضمن الإطار الإيماني العام، مندفعاً بالميول والدوافع الإلهية التي يحددها هذا الإطار... وبين العمل الذّي يوجد بعيداً عن ذلك الإطار وينبثق عن ميول ودوافع أخرى(٨٣).

والحقيقة أن الإنسان لا تكتمل شخصيته ولا يكون صالحاً إلا إذا اطلقت

جميع طاقاته في طريقها الصحيح، عندئذ يكون كاملاً، وإن فقد الإنسان لأي صفة من صفاته الأساسية يخرجه عن الصواب، لذلك كان الإسلام هو الطريق الفطري لتنمية الأخلاق الصالحة للإنسان، ففرض على الإنسان أن يتخلق بهذه الصفات الأخلاقية التي جاءت بها العقيدة الإسلامية قرآناً وسنّة وهي قوة إيجابية فاعلة في بناء المجتمع.

كما أن الإيمان بالله تعالى ضمان لوحدة القيم الأخلاقية للإنسان، ولوحدة القوى الدافعة نحو العمل بالقيم الأخلاقية لتحقيق الطمأنينة وسلامة وسعادة الفرد والمجتمع(٨٤)، وهما يهتمان بالنفس الإنسانية بمختلف جوانبها من عقل وجسم ووجدان وروح، وبقدر ما يكون بين هذه الجوانب من توافق وانسجام يحصل التكامل في شخصية الإنسان ليتحقق له تقدمه وسعادته، وغير ذلك يعود بالضرر على الفرد والمجتمع معاً، لذا وينبغي التعامل مع هذه الجوانب بشكل متوازن ومعتدل دون تغليب جانب على آخر(٨٥).

فالمجتمعات الغربية أو غير الإسلامية في سلوكها الحياتي والنفسي تحشد كلّ وسائل الإغراء لدفع الناس إلى الأعمال المفيدة، حتى يفقد العمل المفيد كلّ قيمة خلقيه في ضجة الإغراء المحموم، والسبب في هذا لإنها لا تملك دوافع روحية حقيقية كالدوافع التي يملكها المجتمع الإسلامي الصحيح، الذّي يؤمن بربه ومعاده وارتباط الدنيا بعالم الآخرة. ومن هنا كانت القيم الخلقية مرتبطة تاريخياً بالدين منذ أبعد أدوار الحضارة البشرية إلى يومنا هذا(٨٦).

ومن هنا فان بعض الأفعال التي إذا أتى بها الإنسان كانت مانعاً أمام جريان سنة الغضب الالهي ، وهذه الأفعال هي عبارة عن أمور اعتقا دية وأخرى سلوكية تعرّض لها القرآن الكريم في بعض آياته الشريفة ،

ونحن إنشاء الله سوف نحاول أن نسلط الضوء على بعض هذه الإشارات التي أشار إليها القرآن الكريم ومن بين هذه الأمور المهمة هي

١. عدم ارتكاب الذنوب

تعتبر الذنوب من الأسباب الرئيسية التي تؤدي بشكل عام إلى زوال النعم الآلهية بل إذا أصبح ارتكاب الذنوب عادة دائمة عند المجتمع فإن هذا سوف يؤدي حتماً إلى حلول غضب الله على هؤلاء القوم وان أمثال هؤلاء كثيرين على مرّ التأريخ البشري فقد نقل لنا القرآن الكريم عن تلك الأمم ما فيه عبرة بالغة لمن أراد أن يعتبر أنظر قوله تعالى(**أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْراراً وَجَعَلْنَا الأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ**) (٨٧).

فاقتراف الذنوب يعد سبباً من الأسباب الأساسية التي تؤدي إلى إهلاك الأمم ونزول العذاب عليهم وهذا من أهم المصاديق لسنّة الغضب الإلهي ، فهذه السنّة إنما تجري في المكان والزمان الذي ترتكب فيه الذنوب عن عمدٍ وإصرار من الناس مع علمهم إنها ذنوب قبيحة مرفوضة من قبل الباري عز وجل. ويمكن تقسيم الذنوب إلى قسمين

القسم الاول : الذنوب العامة

وهي عامة مشتركة بين جميع الأمم الظالمة التي تؤدي بأفعالها إلى حلول غضب الله عليها من قبيل تكذيب الرسل والاستهزاء بهم وعدم قبول دعوتهم مع ما تبين لهم من الآيات الباهرات والمعجزات الواضحات التي يبينها الرسل لهم فيصرون على الكفر والعصيان والجحود فيكونون بذلك مورداً لحلول الغضب الإلهي عليهم أنظر قوله تعالى (**وَإِنْ**

يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّناتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتابِ الْمُنِيرِ)[٨٨].

فهناك أقوام كثيرون قاموا بهذا الفعل الشنيع فكذبوا رسلهم الذين أرسلهم الله تعالى لهدايتهم فالتكذيب هنا بمعنى الأعراض وعدم قبول الشرائع والقوانين التي جاؤا بها وهذا التكذيب كان سبباً دامغاً لحلول العذاب على هؤلاء الأقوام وقد بين لنا القرآن الكريم إن هؤلاء كانوا بالإضافة إلى تكذيب الرسل فقد كانوا يستهزؤن بهم أيضاً ، أنظر قوله تعالى **(وَما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ)**[٨٩].وهذا الاستهزاء هو أيضاً بمعنى عدم الانقياد وعدم قبول ما جاء به الرسل من الشرائع والبينات الحقّة التي تؤدي إلى تنظيم سبل الحياة الطيبة والهانئة مما جعل هذه الأقوام تكون مورداً لجريان سنّة الغضب الإلهي عليهم ، إنّ هذا النوع من الذنوب هو كما قلنا يكاد يكون مشتركاً بين الأمم الكافرة وكان يعتبر سبباً لهلاك تلك الأمم.

القسم الثاني: الذنوب الخاصة

أي تلك الذنوب التي يختص بها قوم دون آخرين فتعرف بهم وتعد من صفاتهم مثل قوم النبي لوط (ع) الذين كانوا يرتكبون الفاحشة الشنيعة التي تؤدي إلى زوال النسل البشري وإلى توقف عجلة الحياة بالكامل خصوصاً عندما تصبح هذه الظاهرة عامة بين جميع الناس كما رأينا ذلك من خلال القرآن الكريم مع قوم النبي لوط (ع)، حيث إن القرآن الكريم أخبرنا إنهم لم ينجوا منهم إلا النبي لوط وأهل بيته وأما أمرأته فقد حاق بها ما حاق بالباقين من المذنبين وهذا يدل على انتشار هذه الحالة القبيحة بين جميع أهل تلك المدينة مما جعلهم مستحقين لما حلّ

بهم من عقوبة الاستئصال. وهناك أقوام آخرين اشتهروا بمعصية أخرى قبيحة وهي التطفيف في الميزان حينما يبيعون ويشترون فقد كانت هذه هي سمتهم الغالبة عليهم فاستحقوا بذلك نزول العذاب الإلهي عليهم بما كسبت أيديهم.

يقول صاحب تفسير المنار في هذا الخصوص ، إن الذنوب التي يهلك الله بها القرون ويعذب بها الأمم قسمان أحدهما ، معاندة الرسل والكفر بما جاؤا به وثانيهما ، كفر النعم بالبطر والأشر وغمط الحق واحتقار الناس وظلم الضعفاء ومحاباة الأقوياء والإسراف في الفسق والفجور والغرور بالغنى والثروة ، فهذا كله من الكفر بنعم الله واستعمالها في غير ما يرضيه من نفع الناس والعدل العام(٩٠).

ولعل تنوع طرق الهلاك والعذاب الذي يصيب الأمم الكافرة ناتج عن تنوع الذنوب التي يقترفوها والوسائل التي يستخدموها في ارتكاب تلك الذنوب حيث أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة من خلال قوله تعالى(**فَكُلاً أَخَذْنا بِذَنْبِه فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنا عَلَيْه حاصِباً وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنا بِه الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنا وَما كانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**)(٩١).فهذه الآية الكريمة تشير إلى تنوع طرق وأساليب الهلاك الذي أصاب تلك الأمم وان هذا التنوع كان بسبب تنوع الذنوب التي كانوا يقترفونها كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة عندما قالت (**كلاً أخذنا بذنبه**) أي لكل أمة عقوبة تتناسب مع الذنب الذي قاموا بارتكابه.

فبعض تلك الأمم اهلكوا بالحاصب وبعض أهلكوا بالصيحة وبعض اهلكوا بالخسف والبعض الآخر بالغرق وهكذا بقية الأمم التي أهلكت بسبب ما اقترفت من الذنوب حيث إن العقوبة كانت تتلاءم مع نوع

الذنب الذي كانوا يقترفونه.

٢. اجتناب الظلم

كما مرّ معنا فإن الظلم يعد من الأسباب الرئيسية لحلول سنّة الغضب الإلهي والأمر معكوس أيضاً أي بعدم الظلم فسوف يجنبنا ذلك أن نكون مورداً لجريان سنّة الغضب الإلهي. والظلم هنا هو بمعنى الخروج عن حدود الحق مهما كان هذا الخروج كبيراً أو صغيراً ومن هنا نجد إن كلمة الظلم تستعمل في مطلق الذنب كبيراً كان أم صغيراً فكل ذنب هو ظلم فهناك الذنب الصغير وهناك الذنب الكبير وكلاهما من الظلم ، وقد بين لنا القرآن الكريم مراحل هذا الظلم أي أنواع الظلم ويمكن أن نجعلها في ثلاث أنواع وهي:

أ. الظلم الحاصل من طرف الإنسان بالنسبة لله عز وجل

وأعظم درجة وأعلاها لهذا الظلم هو أن يجعل الإنسان مع الله شريكاً يرى إن له تأثير سواء كان مباشراً أو غير مباشر في نظام هذا الكون كما ورد ذلك على لسان لقمان حينما كان يعظ ابنه إذ قال له (**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) [٩٢].فالشرك بالله عز وجل من أعلى درجات الظلم التي يظلم فيها الإنسان ربه الذي يسّر له سبل العيش الهانئ وبين له مناسكه العبادية عن طريق إرسال الرسل وبسط له الرزق اليسير وآتاه من كل ما يحتاج إليه في قوام حياته من الولادة إلى الممات فلا يجب أن نجعل معه شريكاً بل يجب أن تكون العبادة والتقرب خالصة لوجهه من دون غيره.

ب. الظلم الإنسان لأخيه الإنسان

وهذا نوع آخر من أنواع الظلم الذي يمارسه بعض الناس على البعض الآخر المتمثل في زهق الأرواح من خلال إشعال نار الفتن بين الناس

وإعلان الحروب بالباطل وأكل أموال الناس بالباطل وكل أنواع الظلم الأخرى التي يمارسها البعض وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في أكثر من مورد منها قوله تعالى (**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**) (٩٣).انّ هذا النوع من الظلم هو الأسرع من جهة ظهور آثاره المدمرة في المجتمعات بشكل عام فأين ما حلّ هذا النوع من الظلم بشكل كبير فان النتيجة الحتمية لذلك المجتمع هي الزوال والهلاك والعكس صحيح فأين ماحلّ العدل في مجتمعاً ما فان النتيجة لذلك المجتمع هي الدوام والازدهار طبعاً مع مراعاة الشروط الأخرى التي تؤدي إلى استدامة الحياة واستمرارها.

ج. ظلم الإنسان لنفسه

وهي أن يقوم الإنسان بارتكاب بعض الأعمال التي تؤدي إلى هلاكه وموته كأن يتناول بعض الأطعمة الضارة أو يقوم ببعض الحركات التي تهلكه أي أن يكون عائد الضرر على الإنسان نفسه سواء كان معنوياً أو مادياً وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى(**فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ**) (٩٤).وفي الحقيقة إن جميع هذه الأنواع من الظلم هي ظلم لنفس فاعلها فإن الله هو الغني وهو القاهر فوق عباده كما قال عز وجل في سورة النحل(**وَما ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) (٩٥).فجميع أنواع الظلم تعود بالضرر على نفس الإنسان إلا انه يمكن الجزم بأن أسرع أنواع الظلم تأثيراً في حياة الأمم في هذه الدنيا هو ظلم الناس بعضهم بعضاً وان هذا ما أكدت عليه بعض الآيات الكريمة وبعض الروايات الواردة عن النبي وأهل بيته وحيث إن بحثنا قرآنياً لذلك سوف اكتفي بذكر آية واحدة لتوضيح المطلب وهي قوله تعالى (**وَما كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُها مُصْلِحُونَ**) (٩٦).لقد اختلفت آراء المفسرين في تفسير هذه الآية

الكريمة فقد ورد عن تفسير الامثل قوله إن الصلاح وحده لا يضمن البقاء إذا لم يكن المجتمع صالحاً ولكن إذا كانت في المسير خطوات إصلاحية فالمجتمع أيضاً يكون له حق البقاء والحياة وأي يوم لا يوجد فيه صالح أو مصلح في المجتمع فإن من سنّة الخلق أن يحرم حق الحياة ويهلك عاجلاً [٩٧].وأما ما جاء عن تفسير الميزان في خصوص الآية السابقة فقد قال ،أي لم يكن من سنّة الله تعالى أهلاك القرى التي أهلها مصلحون لأن ذلك ظلم ولا يظلم ربك أحداً فقوله بظلم قيد توضيحي لا احترازي ويفيد إن سنته تعالى عدم إهلاك القرى المصلحة لكونه من الظلم (**وَما رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ**) [٩٨].وأما ما ورد عن تفسير جامع البيان للطبري فقد قال في خصوص هذه الآية الشريفة ، وقد قيل في ذلك لم يكن ليهلكهم بشركهم بالله وذلك قوله **(بظلم)** يعني بشرك **(وأهلها مصلحون)** فيما بينهم لا يتظالمون ، ولكنهم يتعاطون الحق بينهم وان كانوا مشركين وإنما يهلكهم إذا تظلموا[٩٩].من خلال ما تقدم من البيانات لعلماء التفسير نجد إن العلماء جعلوا ظلم العباد في المرتبة الشديدة من مراتب الظلم التي تؤدي إلى زوال الأمم وإلى ترتب أثر الانتقام الإلهي من هذه الأمم أسرع من غيرها حتى إنهم عندما يجعلون مقايسة بين حقوق الله وبين حقوق العباد نراهم يقولون إن حقوق الله مبناها على المسامحة والمساهلة وأما حقوق العباد فمبناها على الضيق والشح.

إننا نجد على مرّ التأريخ أمم كثيرة نالها العقاب الإلهي وكان مصيرهم إلى الزوال مع ما كانوا يتمتعون به من نعم كثيرة وجميع أسباب العيش الهانئ والحياة الكريمة ولكنهم أغواهم الشيطان وغرتهم الحياة الدنيا وزبرجها فتعاطوا الظلم فيما بينهم فكانت عاقبة أمرهم إلى سوء وهذه هي طبيعة السنن الآلهية فهي تتعامل مع الإنسان وفق اختياره ووفق

عمله فمن يزرع الشوك لا يحصد الورد فأين هم قوم نوح (ع) وما حلّ بهم ولماذا أُغرقوا بذلك الطوفان الرهيب ألم يكن ذلك بسبب كفرهم وظلمهم لنبيهم ولأنفسهم !

وأين هم قوم عاد وماذا جرى عليهم من العذاب المهين ألم يخبرنا القرآن الكريم بما كانوا يقترفوه من الظلم والكفر فكان ذلك سبباً لأن تكون عاقبتهم إلى سوء ! وأين قوم لوط الذين كانوا يفعلون ما يفعلون من الفواحش والخطيئة الشنيعة وكفرهم بالله وعدم إتباع نبيهم الذي دعاهم إلى طريق الصلاح والهداية إن عدم استجابتهم كانت هي السبب وراء ما حل بهم من سوء المنقلب ، وهكذا بقية الأمم الأخرى التي كفرت بالله العزيز وظلمت وارتكبت الفواحش ولم تتبع أقوال الرسل فنالت العقاب الإلهي بحسب قانون السنن.

٣. الإيمان بالله وعدم الكفر

من الأسباب الأخرى التي تؤدي إلى حلول سنّة الغضب الإلهي كما مرّ معنا سابقاً هو الكفر وعدم الإيمان بدعوة الرسل ، وأما إذا آمن الناس وأذعنوا لدعوة الأنبياء والرسل واتبعوهم فإن ذلك سوف يكون حرزاً لهم وواقياً من أن تنالهم سنّة الغضب الإلهي.

ولقد كان الإيمان بعقيدة التوحيد هو الخطوة الأولى في إحداث تغيير في الشخصية، فهو يولد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته، وعن الناس والحياة، والكون باكمله أنه يمده بمعنى جديد للحياة ولرسالته فيها، ويملأ قلبه بحب الله ورسوله والناس من حوله وللإنسانية عامة، ويبعث فيه الشعور بالأمن والطمأنينة[١٠٠].

والباري عزّ وجلّ جعل التقوى هي أساس النور وهي الفرقان، وصلاح الأعمال، كما هي سبباً للرزق كما في الآيات الآتية قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا**

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ❖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)[١٠١].

وقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)**[١٠٢].

وبيّن الله عزّ وجلّ، أن الذّي يؤمن بعقيدة التوحيد يجعل الله له نوراً يفرق له بين الحق والباطل، ونوراً يفتح له أفقاً واسعاً في هذه الحياة الدنيا، لأن الذّي لا يولد الله عزّ وجلّ فكأنه ميت، وان كان يمارس الحياة، فقد كُتب عليه الموت وهو في رباط الحياة لأن الحياة حياة القلوب والنفوس، وحياة التوحيد والإيمان، وجاءت الإشارات القرآنية لهذا المعنى في القرآن الكريم الذّي يمكن أن نفهم أن الباري عزّ وجلّ يريد أن نؤمن بعقيدة التوحيد حتى نرى النور، لأن النور واحد وهو نور الإيمان والأمان والطمأنينة النفسية والقلبية.

فالإيمان بالله عزّ وجلّ وبعقيدة التوحيد يجب أن لا يخالطها ارتياب وشك، لأن هذا الأمر طريق إلى الوهم والإضطرابات النفسية والصراعات، فلذلك حذّرنا القرآن الكريم من هذا الأمر لما في قوله تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ)**[١٠٣].

وكما تبين لنا سابقاً في معنى الكفر فالمراد بالكفر هو الجحود بآيات الله تعالى من بعد ما تبين لهم انه الحق فأن من سنن الله عز وجل هو عدم إنزال العقوبة بأحد أو بأمّة حتى يبين لهم الحق من الباطل وسبيل الهدى من سبيل الضلال بالبينات الواضحات والآيات التي لا تقبل الشك فإن آمنوا بالله العزيز واتبعوا الرسل نجوا وكانوا من السعداء وإن كفروا

وبدلوا نعمة الله كفراً فقد استحقوا أن تنزل بهم النوازل المهلكة وحينئذٍ يكونون مورداً من موارد جريان سنّة الغضب الإلهي.

المبحث الرابع

نماذج تطبيقية لسنّة الغضب الإلهي في القرآن لكريم

هناك الكثير من النماذج التطبيقية لسنّة الغضب الإلهي التي تعرض لها القرآن الكريم وبينها لنا كما بين لنا الأسباب والدوافع التي كانت وراء جريان هذه السنّة على تلك الأمم الغابرة ولكي تتم الفائدة وتحصل الغاية من مجمل بحثنا هذا سوف نقوم في هذا المبحث إنشاء الله بدراسة بعض النماذج التطبيقية لهذه السنّة حيث أننا سوف نتناول نموذجين من هذه النماذج ، على أن يكون أحد هذه النماذج هو من المصاديق التي جرت عليهم سنّة الغضب الإلهي بسبب اكتمال الشروط الموضوعية والأسباب المنطقية لأن يصبحوا مورداً من موارد جريان هذه السنّة عليهم ، وعندما ننظر في القرآن الكريم نجد أن هناك الكثير من الأمم التي جرت عليها هذه السنّة الآلهية بما كانوا يكسبون وبسبب ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي ، فإننا لو تأملنا الرؤية العامة لدين الله لوجدنا إن دين الله عز وجل يمثل منهجاً قويماً للحياة البشرية بأن يكون كل ما في أيدي الناس حتى أرواحهم لله الواحد القهار وهذا هو معنى العبادة الخالصة لله وحده وعدم الشرك به ، وكل من خرج عن هذا المنهج كائناً من يكون فرداً كان أم أمة فإنه حتماً سوف يلاقي المصير الذي رسمته السنّة الآلهية لكل من اتخذ مع الله شريكاً ولكل من خالف فطرته التي فُطر عليها من التوحيد والعبودية لله عز وجل ومع الأسف فعندما نقرأ القرآن الكريم نجده ينقل لنا الكثير من الصور القاتمة عن تلك الأمم التي

انعدمت فيها الحياة المعنوية بسبب إتباعهم لمكر الشيطان وتحريفات المضلين والمنحرفين الّذين ساقوهم إلى نهاية سوداء وكأنهم كانوا قد تعاهدوا على المعصية وعدم الإذعان لأمر الله عز وجل ولرسله فكانوا بذلك مصداقاً واضحاً من مصاديق جريان سنّة الغضب الإلهي عليهم فنزل عليهم العذاب كل بما يناسب ذنبهم الذي اقترفوه ، وأما النموذج الآخر الذي سوف نتناوله فهو من المصاديق التي شملتها الرحمة الآلهية في اللحظات الأخيرة بعد إن كان سوف تجري عليها هذه السنّة أي سنّة الغضب الإلهي إلا أنهم تابوا إلى الله وأنابوا إليه بعد أن بدت لهم علامات الغضب الإلهي وكاد أن يحيق بهم العذاب من كل صوب. إن هذين المصداقين هما قوم النبي نوح (ع) الذين حاق بهم العذاب فاغرقوا بسبب ما اقترفوه من الذنوب والمعاصي الفاحشة وبسبب عنادهم ولجاجتهم وعدم الانقياد لأمر الله عز وجل الذي بينه لهم نبيهم نوح (ع) مع طول المدة التي لبث فيها معهم فلم يستجيبوا له ولم يعوا أمر الله عز وجل وعاندوا واستكبروا وأصروا على ما هم فيه من الضلال والكفر فكانوا بذلك أهلاً لأن يصيبهم ما أصابهم من العذاب حيث أنهم أُغرقوا بذلك الطوفان المهيب وأُهلكوا جميعاً بما فيهم أبن النبي نوح (ع) وزوجته.

وأما المصداق الآخر فهم قوم النبي يونس (ع) الذين شملتهم رحمة الباري في اللحظات الأخيرة بعد أن كاد أن يحل بهم العذاب المخزي ذلك لأنهم استجابوا لداعي الله وعلم الله عز وجل منهم التوبة الخالصة والإنابة إليه عز وجل فرفع عنهم العذاب ، إننا بهذين المصداقين أردنا أن نبين كيف يحيق غضب الله عز وجل بمن كفر وعصى وكيف تشمل رحمته تعالى الأمم ولو كان ذلك في نهاية المطاف ثم في ذلك أيضاً عبرة

وفكرة رائعة لأولئك الّذين يبلغون رسالات الله أن لا يسئموا من الدعوة إلى الله فلعل هناك من يذعن ولو في نهاية المطاف.

قصة النبي نوح

لقد قام نوح عليه السلام بواجبه في دعوة قومه إلى عبادة الله وحده، وبلغهم الدعوة كما أمره الله تعالى، وقد سلك معهم – كما مر – مختلف الأساليب والوسائل في الدعوة، بهدف إقناعهم والتأثير فيهم، ليتخلوا عن الباطل ويتبعوا الحق..

يدعوهم الدعوة الجهرية الجماهيرية العامة على المستوى الاجتماعي، في المؤتمرات واللقاءات... ويدعوهم الدعوة العلنية على المستوى الأقل والأضيق من الدعوة الجهرية... ويدعوهم الدعوة السرية الخاصة، في اللقاءات الفردية الجانبية السرية الخفية...

واستغرقت هذه الأساليب الثلاثة – الجهر والعلن والسر – وقته كله، في ليله ونهاره، كم شهرا استمر على الدعوة بهذه الأساليب والأوقات؟ وكم سنة استمر على ذلك؟ هل استمر شهورا؟ أو سنوات؟ أو عشرات السنين؟

لقد استمر على هذه الأساليب الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاما يقول تعالى:(فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا)[١٠٤] [١٠٥].

ولقد طال الزمان وطالت المجادلة بينه وبينهم (قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا) [١٠٦]، ومن الجدير بالذكر هنا أن الإنسان المتزن العاقل لا يمكن أن يلجأ إلى الطلب لاستعجال العذاب، بل على العكس من ذلك، يلجأ عادة إلى التوسل إلى الله تعالى للفيض عليه بالرحمة والسلام، ولكن ارتباك الملأ النفسي والذهني منعهم من إدراك عواقب طلبهم هذا، فظنوا أنهم كانوا معجزين في موقفهم هذا، فقد تهيأ لهم أن

عدم التلبية لطلبهم باستعمال العذاب يشكل عاملا جديدا في إثبات تشكيكهم وتكذيبهم لنبوة نوح، ومن هذه الزاوية يبدو أنهم اعتقدوا بتمكنهم من وضع نوح في موقف حرج يصعب الخروج منه، ولكن مقابل جهلهم هذا المبني على الغرور، جاء رد نوح عليهم في الآية الآتية كما يلي: ﴿قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين﴾ (١٠٧) لقد عمد نوح في رده لتذكيرهم أولا بالهيمنة الإلهية على الكون، وان سننه لا تتخلف وذلك من أجل تأكيد مبدأ الوحدانية مرة أخرى لهم، وتأكيد السنن الثابتة التي يسير كل شيء بموجبها، وفي هذا الإطار أبلغهم بأن أمر العذاب الذي يستعجلونه يكمن بيد الله تعالى، القادر على فعل أي شيء بموجب حكمته الفائقة، وعلمه اللامحدود، ومن هنا فقد تبين لهم أن طلبهم الذي ظنوا أنه يحمل (تعجيزا) في طياته ليس كذلك، مظهرا لهم بهذا مدى قصورهم الفكري... ومن ثم تابع نوح حواره معهم قائلا – كما ورد في الآية الكريمة الآتية – : ﴿ **وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ (١٠٨) (١٠٩).

جاء في تفسير سيد قطب: "فإذا كانت سنة الله تقضي أن تهلكوا بغوايتكم، فإن هذه السنة ستمضي فيكم، مهما بذلت لكم من النصح، لا لأن الله تعالى سيصدكم عن الانتفاع بهذا النصح، ولكن لأن تصرفكم بأنفسكم يجعل سنة الله تقتضي أن تضلوا، وما أنتم بمعجزين لله عن أن ينالكم ما يقدر لكم، فأنتم دائما في قبضته، وهو المدبر والمقدر لأمركم كله، ولا مفر لكم من لقائه وحسبانه وجزائه" (١١٠).

وعلم الله تعالى أن هؤلاء العتاة الكفار لن يؤمنوا، ولهذا أوحى لنوح (عليه السلام):(**لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**) [١١١].

لقد انتهى الأمر وأغلق الباب، آمن من آمن، واستفاد وفاز، وكفر من كفر، وخاب بذلك وخسر، عند ذلك دعا نوح لقومه الكفار:(**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا**) (٢٧)) [١١٢].

طالما أصروا على كفرهم، وطالما أخبره الله تعالى أنهم لن يؤمنوا، إذن فليدع عليهم بالهلاك: رب لا تترك واحدا منهم حيا، ولا تدع على أهل الأرض منهم ساكنا في بيت أو دار! والديار: هو الساكن الذي يسكن الدار [١١٣].

وإن يأس نوح (ع) من قومه وطلبه النصر من الله سبحانه وتعالى جاء في القرآن الكريم بصيغ وعبارات مختلفة، ولكنها تدل على شيء واحد، ومجموع الآيات ستة، وهي قوله تعالى:(**وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)**) [١١٤]، وقوله تعالى:(**وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)**) [١١٥] ، وقوله تعالى: (**قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (١١٨) فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩)**)[١١٦]،وقوله تعالى: (**فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ (١٠)**)[١١٧]، وقوله تعالى:(**وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦)**) [١١٨].

وما ذكر في مصادر أهل الكتاب أن الرب لما رأى أن الشر قد انتشر في الأرض، حزن كثيرا وأسف في قلبه، فرأى أن يمحو المخلوقات من الإنس والبهائم والطيور.

ورد في العهد القديم النص التالي:وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. [٦]فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. [٧]فَقَالَ الرَّبُّ: (أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ) (١١٩).

([١١]وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. [١٢]وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ. [١٣]فَقَالَ اللهُ لِنوح: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ)(١٢٠).

مما تقدم نرى أن كلا من القصة القرآنية (والباحث في المصادر الديانات ومنها التوراة) وضعت مسألة تفشي الظلم والفساد كخلفية للأحداث، بيد أن التوراة لم تتحدث تفصيليا عن الأسباب في هذا الصدد، في حين أن القرآن كشف عن أسباب جوهرية، ولكن مع ذلك فالقرآن لم يعرض تلك الأسباب مباشرة، بل تركها للقارئ لكي يستنتجها من خلال عرض لحوار كان قد أخذ مكانا بين نوح والملأ أو الأشراف من القوم، فالقرآن عادة يخاطب الإنسان من خلال استخدام المنطق وأدواته بغية ترك المجال له للتوصل إلى النتائج بفكره، هذا وإن الحوار بين نوح والملأ كان يشير إلى مشكلة اجتماعية ناتجة عن استعلاء طبقة على طبقة أخرى وحرمان الأخيرة من حق تقرير المصير، ومن العيش الكريم، أو بكلمة أخرى فالحوار قد كشف عن هوة ساحقة بين الأقوياء أصحاب الثراء والنفوذ

من جهة، وبين الضعفاء والفقراء والمساكين من جهة أخرى، هوة أدت إلى انتشار الظلم، والإخلال بموازين العد، بكل الآثار السلبية المترتبة عن ذلك في المجتمع السائد وقتئذ، هذا وبما أن الظلم كما كان سائدا في عصر نوح، يشابه الظلم الذي ساد في كثير من العصور التالية، فالحوار بين نوح والملأ قد زود الإنسان بأسباب جوهرية عن التصدع في مجتمع يقف كنموذج لغيره وبالتالي الحلول، هذا وإن الكشف عن الأسباب والحلول في قصة نوح القرآنية أمر هام، فهو يبرز أزلية القرآن، وبهذا الإطار نرى اختلافا بارزا بين التوراة والقرآن، فالقصة التوراتية بدت وكأنها تتحدث عن شيء مضى وانتهى، في حين أن القصة القرآنية تحدثت عن شيء مضى، ولا تزال أحداث مشابهة له تأخذ مكانا حاضرا ومستقبلا، وبهذا تركت الأبواب مفتوحة للاستفادة، وأخذ العبر.

ولو انتقلنا من موضوع الخلفية لأحداث قصة نوح إلى موضوع أثر تلك الخلفية في البعث على الغضب الإلهي من الأشرار، نرى أن السياق العام للأحداث توجه في كل من التوراة والقرآن نحو التركيز على الإبلاغ الإلهي لنوح لصنع الفلك كهيئة لإيجاد وسيلة للخروج من العقاب الإلهي الذي ينتظر الكفار.

قصة النبي يونس

قال الله تعالى في سورة " يونس(**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**) [١٢١] . وقال تعالى في سورة " الأنبياء : (**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ**

الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨))[١٢٢]. وقال تعالى: (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٩) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤٠) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤١) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٢) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٧) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ (١٤٨)) [١٢٣]. وقال تعالى:(فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٨) لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٤٩) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥٠)) [١٢٤]. قال أهل التفسير : بعث الله يونس ، عليه السلام ، إلى أهل نينوى ; من أرض الموصل فدعاهم إلى الله عزّ وجل ، فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم ، فلما طال ذلك عليه من أمرهم ، خرج من بين أظهرهم ، ووعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث ، فلما خرج من بين ظهرانيهم وتحققوا نزول العذاب بهم ، قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة ، وندموا على ما كان منهم إلى نبيهم ، فلبسوا المسوح ، وفرقوا بين كل بهيمة وولدها ، ثم عجوا إلى الله عز وجل ، وصرخوا وتضرعوا إليه ، وتمسكنوا لديه ، وبكى الرجال والنساء ، والبنون والبنات ، والأمهات ، وجأرت الأنعام والدواب والمواشي ، ورغت الإبل وفصلانها ، وخارت البقر وأولادها ، وثغت الغنم وحملانها ، وكانت ساعة عظيمة هائلة ، فكشف الله العظيم ، بحوله وقوته ، ورأفته ورحمته ، عنهم العذاب الذي كان قد اتصل بهم بسببه ، ودار على رؤوسهم كقطع الليل المظلم ؛ ولهذا قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها أي ؛ هلا وجدت فيما سلف من القرون قرية آمنت بكمالها . فدل على أنه لم يقع ذلك ، بل كما قال

تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ) (١٢٥) . وقوله : إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين أي ؛ آمنوا بكمالهم . وقد اختلف المفسرون ؛ هل ينفعهم هذا الإيمان في الدار الآخرة ، فينقذهم من العذاب الأخروي ، كما أنقذهم من العذاب الدنيوي ؟ على قولين ، الأظهر من السياق : نعم إن شاء الله . والله أعلم . كما قال تعالى : لما آمنوا وقال تعالى : وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين وهذا المتاع إلى حين لا ينفي أن يكون معه غيره من رفع العذاب الأخروي(١٢٦).

"نستوحي من هذه القصة الخاطفة، كما ان الله يبتلي ويمتحن البر والفاجر ايضا فأن الله قد يبتلي الدعاة المؤمنين، من عباده ورسله، فيما يمكن أن يكونوا قد قصروا فيه أو تهربوا منه من مسؤوليات.

وأن الداعية قد يضعف أمام حالات الفشل الأولى مع من يريد ان يبلغهم ويهديهم الى الصراط القويم ، أو أوضاع الضغط القاسية، أو مشكل الظروف الصعبة، كنتيجة لفكرة إنفعالية سريعة، أو شعور حاد غاضب ثم يلطف الله بهم بعد أن يتراجعوا عن ذلك، ويرجعوا إليه، فينجيهم من بلائه، ويحوطهم بنعمائه، ويسبغ عليهم من ألطافه وآلائه، لئلا يتعقد الخطأ أو الإنفعال في شخصيتهم، لينطلقوا إلى الحياة من روحية الصفاء الروحي والنقاء الشعوري من جديد ليبدأوا الدعوة من حيث انتهوا ويتابعوا المسيرة بعزم وقوة وإخلاص.

ثم نلتقي في أعماق الموقف بالإبتهالات الخاشعة الخاضعة لله في روحية الإحساس بالعبودية، التي يشعر المؤمن معها بأن الله يلتقيه في مواقع الإنابة، مهما كانت الخطايا والذنوب، وأن الخطأ لا يتحول إلى عقدة بل

يتحول إلى فرصة للقاء بالله من جديد، في مواقع التوبة الحقيقية الخالصة، التي يبدأ فيها التائب تاريخاً جديداً، وصفحة بيضاء في حياته"[١٢٧].

ان القضية التي يثيرها القران – دائما – في ساحة الصراع العقيدي، بين ما يطرحه من عقائد وافكار، وما يطرحه الاخرون من اضاليل واكاذيب، تحتاج الى الاجواء الفكرية الهادئة التي يتحرك في داخلها العلماء المفكرون الذين يحاكمون الامور بدقة، ويفكرون فيها بعمق، فهم وحدهم الذين يستطيعون الوصول الى الحقيقة من اقرب الطرق، لان القضايا الفكرية لا تحل بالمشاعر الملتهبة والنظرات السريعة التي تتحرك في نطاق الغوغاء[١٢٨].

الهوامش:

(١) آل عمران: ١٣٧.

(٢) أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، مصورة دار الفكر، بيروت - ١٩٧٩م، ج ٣، ص ٦٠- ٦١.

(٣) أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني، الطالقاني، الأصفهاني، المعروف بالصاحب ابن عباد (ت: ٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ج ٨، ص٢٤٧.

(٤) الصاحب ابن عباد، م. ن، ج ٨، ص٢٤٨.

(٥) مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط، ، مكتبة الشروق الدولية - القاهرة، ص٤٧٤.

(٦) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط ، نفس المصدر.

(٧) ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر- بيروت- لبنان، ط ٣، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، ج ١٣، ص٢٢٥.

(٨) الشكعة، مصطفى ، الموسوعة القرآنية المتخصصة، لمجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، إشراف: د. محمود حمدي زقزوق، إعداد وتحرير: د. علي جمعة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة- مصر، ٢٠٠٢م، ص٨١٤.

(٩) عاشور،مجدي محمد محمد ، السنن الإلهية في الأمم والأفراد في القرآن الكريم.. أصول وضوابط، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ٢٠١٣م، ص٣٦.

(١٠) زيدان، عبد الكريم و عبد الله ، عبد القهار داود، علوم الحديث، مطبعة عصام – بغداد،ط٢، ص٢٤.

(١١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن،مطبعة الاعلمي – بيروت ، ١٩٩١م، ج١٤،ص١٨٧.

(١٢) سورة الروم:٤١.

(١٣) سورة الأعراف:١٤٧.

(١٤) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن،مطبعة الأعلمي – بيروت ، ١٩٩١م، ج١٤، ص١٨٦.
(١٥) سورة الكهف:٤٩ .
(١٦) قال ابن السكيت: القطمير: القشرة الرقيقة على النواة، والفتيل: ما كان في شق النواة (لسان العرب)ج١١/ مادة فتل .
(١٧) ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، تحقيق حسين ابراهيم زهران ، دار الفكر ، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ج٥، ص١٤٣ .
(١٨) سورة ال عمران : ٣٠ .
(١٩) ابن كثير، تفسير القران العظيم، م.س ، ج٢ ،ص٥٣٦ .
(٢٠) سورة المجادلة :٦ .
(٢١) سورة الزلزلة : (٧-٨) .
(٢٢) سورة ص:٦١ .
(٢٣) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل أي القران ، تحقيق عبدالله عبد المحسن التركي، هجر – القاهرة، ٢٠٠١م ،ج٢٠ ، ص١٣٥ .
(٢٤) سورة فصلت،٣٠-٣١.
(٢٥) سورة هود،٩٨-٩٩.
(٢٦) سورة هود،٦٠.
(٢٧) القرطبي، محمد بن احمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر – لبنان، ٢٠١٩، ج٥،ص٣٩.
(٢٨) سورة مريم،٩٤-٩٥.
(٢٩) سورة الأنعام،٩٤.
(٣٠) سورة القصص: ٥٩.
(٣١) القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن الكريم، مصدر سابق،ج١٦، ص٣٠١.
(٣٢) الجوهر الثمين في الكتاب المبين، ج٥، ص٣٢.
(٣٣) سورة الشعراء،٢٠٨.
(٣٤) الكاشاني، فتح الله بن شكر الله الشريف (٩٨٨ هـ ق)، زبدة التفاسير، تح مؤسسة المعارف الاسلامية- د.م ،ج٥، ص٦٨.
(٣٥) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٢، ص٢٢٢.
(٣٦) غافر،٢٢.

(٣٧)عبد العزيز، امير، التفسير الشامل للقرآن الكريم، ج٥، ص٢٩٣٩.
(٣٨) الاندلسي، ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،ج١٣، ص٢٧.
(٣٩) الرعد، ٣٢.
(٤٠)الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج، ص٥٤٤.
(٤١)محمد ابن عمر الرازي، التفسير الكبير، ج٧، ص٤٤..
(٤٢) الأنعام،١٠، الانبياء، ٤١.
(٤٣)حجازي، محمد محمود ،التفسير الواضح، ج١، ص٥٩١.
(٤٤) تأويلات أهل السنّة تفسير، ج٤، ص٢٩.
(٤٥) الفرقان، ٣٥-٣٦.
(٤٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م.س، م٣، ج٦، ص٧١.
(٤٧) الأعراف،١٦٢.
(٤٨) الاندلسي، ابن عطية ، المحرر الوجيز في تفسير الكتب العزيز، ج٦، ص١١٣.
(٤٩) الميداني، عبد الرحمن ، معا رج التفكر ودقائق التدبر، ج٤، ص٦٥٣.
(٥٠) سورة الانبياء، ١١.
(٥١) الطباطبائي، الميزان، م.س، ج١٤،ص٢٥٥.
(٥٢) سورة الروم:٣٠.
(٥٣) سورة الداريات: ١٥٦.
(٥٤) سورة نوح:٢٦-٢٧.
(٥٥) سورة نوح، ٢٥.
(٥٦) سورة فاطر،٢٦.
(٥٧) الطباطبائي، الميزان، م.س. ج١٧،ص٣٨.
(٥٨) سورة آل عمران، ١١٢.
(٥٩) الأعراف، ١٥٢.
(٦٠) الشيرازي، مكارم، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل،ج٥، ص٢١٤-٢١٦.
(٦١) الزمخشري، جار الله أبو القاسم ، الكشاف،ج٢، ص١٥٦.
(٦٢) طه، ٨١.
(٦٣) الشيرازي ، مكارم، الامثل، م.س،ج١٠، ص٤٣.
(٦٤) البقرة، ٦١.
(٦٥) الطباطبائي، الميزان، م.س،ج١٤، ص١٨٧.
(٦٦) سورة الإسراء: ١٦.
(٦٧) سورة إبراهيم:٧.

(٦٨) سورة الفجر:١٤.
(٦٩) سورة الأعراف: ٢٨.
(٧٠) سورة يس: ٨٢.
(٧١) الطباطبائي، الميزان، م.س، ج١٣، ص٦٠.
(٧٢) سورة لقمان: ١٣.
(٧٣) سورة الفرقان: ٧٠.
(٧٤) سورة هود: ١١٤.
(٧٥) سورة الرعد: ١١.
(٧٦) ابن أبي الدنيا القرشي، اليقين، د.م، د.ت، ص٤٤.
(٧٧) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، (ت٦٧٦ه)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، مصدر سابق، كتاب الإيمان، باب من مات على التوحيد دخل الجنة، ج١، ص٢١٨.
(٧٨) نجاتي، محمد عثمان، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢م، ٢٥١.
(٧٩) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، دار التعارف للمطبوعات- بيروت ، ص٣٣٩.
(٨٠) المودودي، أبو الأعلى، الحضارة الإسلامية، وأسسها ومبادؤها، تر: عاصم حداد، د.م، بيروت، د.ت، ص٨.
(٨١) المصدر نفسه، ص٣٤٠.
(٨٢) سورة النحل: ٩٧.
(٨٣) المصدر نفسه، ص٣٤٠.
(٨٤) الجمالي، محمد فاضل، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، ط٢، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨م، ص١٣٩.
(٨٥) خزعلي، قاسم محمد محمود، نحو فلسفة تربوية للطفل في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ابن رشد، ٢٠٠١م، ص٢٣٧.
(٨٦) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، ص٣٤٢.
(٨٧) سورة الأنعام: ٦.
(٨٨) سورة فاطر: ٢٥.
(٨٩) سورة الحجر:١١.
(٩٠) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م.س، ج٧، ص٢٦٥.
(٩١) سورة العنكبوت:٤.

(٩٢) سورة لقمان: ١٣.
(٩٣) سورة الشورى:٤٢.
(٩٤) سورة فاطر: ٣٢.
(٩٥) سورة النحل: ٣٣.
(٩٦) سورة هود،:١٧.
(٩٧) الشيرازي، تفسير الامثل،م.س، ج٧،ص٩٢.
(٩٨) الطباطبائي، تفسير الميزان،م.س، ج١١، ص٦٠.
(٩٩) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الكتب العلمية – لبنان ١٩٧١م، ج٧، ص١٣٧.
(١٠٠) شافعي، ابراهيم، نحو ارشاد وعلاج نفسي اسلامي، مكتبة الخبتي للنشر والتوزيع، السعودية، ٢٠٠٥م، ص٦.
(١٠١) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.
(١٠٢) سورة الحديد: ٢٨.
(١٠٣) سورة الحجرات: ١٥.
(١٠٤) سورة العنكبوت، آية: ١٤.
(١٠٥) ينظر: الخالدي، صلاح، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث،دار القلم، د.ت،ج١،ص١٦٨.
(١٠٦) سورة هود: ٣٢.
(١٠٧) سورة هود : ٣٣.
(١٠٨) سورة هود : ٣٤.
(١٠٩) الدجاني، زاهية، أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية- لبنان، ٢٠٠١، ص٣٥-٣٦.
(١١٠) قطب، سيد، في ظلال القرآن ، دار اليوسف، بيروت،١٩٩٨،ج٤، ص١٨٧٥.
(١١١) سورة هود: ٣٦.
(١١٢) سورة نوح : ٢٦ ، ٢٧.
(١١٣) ينظر: مختار الصحاح: ١/ ٩٠ مادة (د و ر).
(١١٤) سورة الصافات: ٧٥ ، ٧٦.
(١١٥) سورة الشعراء: ١١٧ – ١١٩.

(١١٦) سورة القمر: ١٠.
(١١٧) سورة المؤمنون: ٢٦.
(١١٨) سورة نوح: ٢٦.
(١١٩) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح السادس: ٥ – ٧.
(١٢٠) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح السادس: ١١ ، ١٣.
(١٢١) سورة يونس : ٩٨
(١٢٢) سورة الأنبياء : ٨٧ ، ٨٨
(١٢٣)سورة الصافات : ١٣٩ - ١٤٨
(١٢٤)سورةالقلم : ٤٨ - ٥٠
(١٢٥) سورة سبأ : ٣٤
(١٢٦) ابن كثير، قصة يونس (ع) ،ج٢، ص ١٦.
(١٢٨) فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القران، دار الملاك للنشر والتوزيع- لبنان، مج ١٩، ص١٦، ١٩٩٨م.

فهرس المصادر:

١- ابن جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج٧، دار الفكر للطباعة والنشر،- ١٩٩٥م.
٣- ابن منصور محمد ابن احمد الأزهري، تهذيب اللغة، ج٨، ط١، دار إحياء التراث- بيروت، ١٤٢١هـ.
٢- ابن منظور، لسان العرب،ج١٢، بيروت ، ط٨، ٢٠٠٣م .
٣- أبو الفضل الالوسي، روح المعاني، ج٤، ط٤، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ١٩٨٥م.
٤- أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ، دار إحياء التراث العربي، ج٣، ١٤٠٩هـ.ق.
٥- ابن عطية الاندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١٣، دار الفكر العربي، بيروت.

٦- احمد ابن فارس، مقاييس اللغة، ج٥، دار الكتب العلمية، بيروت،١٤٢٠هـ.
٧- احمد مراد خاني تهراني، سنتهاي الهي در قرآن، ط١، مركز جهاني علوم إسلامي، قم إيران.
٨- إسماعيل ابن حماد الجوهري، الصحاح، دار العلم للملايين بيروت.
٩- الطريحي، مجمع البحرين،دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٥م .
١٠- أمير عبد العزيز، التفسير الشامل، ج٥، ط١، ٢٠٠٠-١٤٢٠، دار السلام، القاهرة مصر.
١١- جار الله أبو القاسم الزمخشري، تفسير الكشاف، ط١، مكتب الأعلام الإسلامي، ١٤١٤هـ .
١٢- جار الله أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.
١٣- الخليل الفراهيدي، العين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٨هـ.
١٤- الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط١، دار العلم، دمشق،١٤١٦هـ.
١٥- عبد لله شبر، الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، ج٥، ط١، مكتبة الألفين، الكويت، ١٩٨٦م.
١٦- سيد قطب قصص الأنبياء في ظلال القرآن، ط١، ١٩٩٨ دار اليوسف، بيروت.
١٧- الطبرسي، مشكاة الانوار في غرر الأخبار، ط١، دار الحديث.
١٨- الطبرسي، مجمع البيان، ج١٠،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٩٩٥م.
١٩- عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، معا رج التفكر ودقائق التدبر، دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت،٢٠٠٠م.
٢٠- عبد السلام بن نصرا لله الشريف، سنة الله في عقاب الأمم، ط١، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض ، ١٩٩٤ .
٢١- عبدا لله بن أحمد ألنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج٢، ط١، ١٩٩٥-١٤١٥، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٢- فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير، ج٥، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم إيران، ١٤٢٣.
٢٣- مجدي محمد عاشور، السنن الآلهية في الأمم والأفراد، ط١، دار السلام للطباعة والنشر، الإسكندرية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م.
٢٤- محمد ابن عمر الرازي، التفسير الكبير، ج٣، المكتبة التوقيفية، القاهرة، مصر.
٢٥- محمد الماتُريدي، تأويلات أهل السنة، ج٤، ط١ ،دار الكتب العلمية بيروت، ٢٠٠٥م.
٢٦- محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، ١٩٨٩م.
٢٧- محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار ألائمة الأطهار، ج٦٤، ط٣، ١٩٨٣-١٤٠٣.
٢٨- محمد بن احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٩، ط٢، ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦م.
٢٩- محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ط١، مؤسسة الرسالة بيروت، ٢٠٠٦م.
٣٠- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١٢ ، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، بدار هجر القاهرة، مصر، ٢٠٠٦م.
٣١- محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤، ، مؤسسة الاعلمي، ١٤٠٣.
٣٢- محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٢، ، ط١، ٢٠٠٢-١٤٢٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٣- محمد عبدا لله آل غيثان، الرد على النصارى، ط١، ٢٠٠٣-١٤٢٤، مؤسسة أم القرى، بيروت.
٣٤- محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، ج١، ط١٠، دار التفسير للطبع والنشر، ١٩٩٢ .
٣٥- محمد هيشور، سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، ط١، المعهد العالمي

للفكر الإسلامي- القاهرة، ١٩٩٦.
٣٦-مرتضى ألمطهري، العدل الإلهي، ط٣، ١٤٠٥، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم ايران.
٣٧- مسعود البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ط١، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض. ٢٠٠٢-١٤٢٣.
٣٨- مصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج٥، ط١، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٧، طهران.
٣٩-ناصر مكارم الشيرازي، تفسير الأمثل، ج٢، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، مصر- القاهرة ،١٩٩٢م .
٤٠- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج٣، تح: عبد السلام هارون، مصورة دار الفكر، بيروت - ١٩٧٩م.
٤١- أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس بن عباد بن أحمد بن إدريس القزويني، الطالقاني، الأصفهاني، المعروف بالصاحب ابن عباد (ت: ٣٨٥هـ)، المحيط في اللغة،ج٨، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٤٢- مجمع اللغة العربية ،المعجم الوسيط، ، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة.
٤٣-ابن أبي الدنيا القرشي، اليقين، د.م، د.ت
٤٤- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج
٤٥- محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، بيروت.
٤٦- محمد فاضل الجمالي، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، ط٢، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨م.
٤٧- قاسم محمد محمود خزعلي، نحو فلسفة تربوية للطفل في ضوء الرؤية القرآنية والحديث النبوي، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ابن رشد، ٢٠٠١م.
٤٨- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الكتب العلمية – لبنان ١٩٧١م.

٤٩- ابراهيم، شافعي، نحو ارشاد وعلاج نفسي اسلامي، مكتبة الخبتي للنشر والتوزيع، السعودية، ٢٠٠٥م.
٥٠- صلاح الخالدي، القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث،دار القلم، د.ت.
٥١- الدجاني، زاهية، أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية- لبنان، ٢٠٠١.
٥٢- العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح السادس:
٥٣-الكاشاني، فتح الله بن شكر الله الشريف (٩٨٨ هـ ق)، زبدة التفاسير، ج٥، تح مؤسسة المعارف الاسلامية- د.م .
٥٤- فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القران، دار الملاك للنشر والتوزيع- لبنان، ١٩٩٨م.